سلسلة مؤلفات سماحة الشيخ عبدالله ابن جبرين رحمه الله (٣١)

التدخين

مادته وحكمه في الإسلام







التربية والآداب

تأليف

سماحة الشيخ العلامة

د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله (ت ١٤٣٠هـ)

أُعيد طبعه بإشراف مؤسسة الشيخ عبدالله ابن جبرين الخيرية

ⓒ مؤسسة ابن جبرين الخيرية، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن جبرين، عبدالله بن عبدالرحمن
التدخين مادته وحكمه في الاسلام./ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين - ط ٣ - الرياض، ١٤٣٨هـ
١٠٠ ص؛ ١٧ x ٢٤ سم
ردمك: ٥ - ١٧ - ٨٢٢٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- التدخين ٢- الحلال والحرام أ- العنوان
ديوي: ٢٥٩،٣ ١٤٣٨/٩٩٨٢

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٩٩٨٢
ردمك: ٥ ـ ١٧ ـ ٨٢٢٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

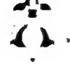
الطبعة الثالثة
١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٣٣٥ الرياض ١١٤١١
هاتف: ١٤٢٦١٠٠٠ ١ ٩٦٦+
فاكس: ١٤٢٦٣٧٠٠ ١ ٩٦٦+
جوال: ٠٠٨٠١٠٠ ٥٦ ٩٦٦+
www.ibn-jebreen.com
info@ibn-jebreen.com
book@ibn-jebreen.com



مؤسسة ابن جبرين الخيرية
Ibn Jebreen Foundation

أسهم في طباعة هذا الكتاب بعض محبي الشيخ رحمه الله
ليباع بسعر تشجيعي فجزاهم الله خير الجزاء



تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فحيث إن مؤسسة ابن جبرين الخيرية بعد وفاة سماحة الشيخ الوالد عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله حملت مهمة نشر تراثه العلمي، وحصلت من ورثته على الحق الحصري لنشر تراثه من كتب وغيرها.

وقد قامت المؤسسة بعدة خطوات في ذلك منذ وفاة الشيخ رحمه الله؛ حيث عملت على جمع المواد الصوتية والمرئية وتصفيتها وفهرستها وترتيبها وتفريغها، وجمع ما كتبه الشيخ بخط يده أو أملاه من كتب ورسائل وفتاوى؛ وذلك لإخراجها في عدد من المنتجات الورقية والإلكترونية والصوتية وغيرها.

وفي خطوة للتعجيل بنشر بعض كتب الشيخ رحمه الله وقع اختيار المؤسسة على عدد من الكتب التي طبعت في حياة الشيخ رحمه الله، وكان اختيار هذه الكتب لسببين: وهما: أهمية الكتاب، وكون العمل فيه متقنًا في الجملة.

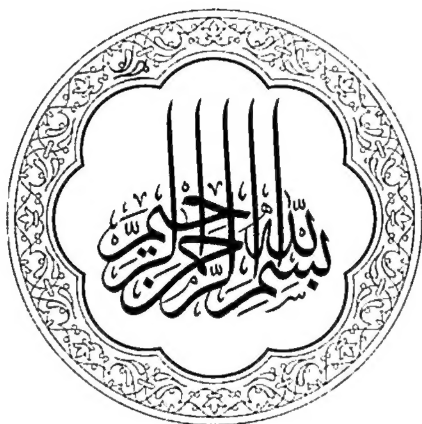
وكان من هذه الكتب كتاب: (التدخين مادته وحكمه في الإسلام)، وكانت أول طبعة للكتاب في عام ١٤٠٢ هجرية في دار طيبة في الرياض ثم طبع مرارًا لقيمته العلمية.

والمؤسسة إذ تسعى في إعادة طباعته رغبة في نفع القارئ، وإكمالًا لرسالة الشيخ رحمه الله في نشر العلم الشرعي، وأملًا في أن يستمر أجر هذا العلم لمؤلفه ومن سعى فيه.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي خير الجزاء سماحة الشيخ المؤلف ومشايخه رحمهم الله، وأن يسكنهم فسيح جناته، إنه سميع مجيب.

قسم البحث العلمي في مؤسسة ابن جبرين الخيرية




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه[(١)]

أحمد الله وأشكره، وأثني عليه، أحمده أن أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينًا، وضمَّن هذا الدين الأمر بفعل كل ما تحبه وتألفه وتعرفه النفوس الزكية، كما حرم فيه كل منكر وضرر وباطل تقشعر منع الجلود، وتستقبحه الفطر السليمة، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمدًا بن عبد الله، مرسل من ربه بالهدىٰ ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، ومن سار علىٰ نهجه دائمًا وأبدًا.

وبعد، فلقد ابتلينا في هذه الأزمان بأمم وشعوب تسموا بالمسلمين، وهم عن الإسلام بمعزل، حيث قصروه علىٰ القربات والأذكار التي تؤدىٰ في المساجد ونحوها، وتصرفوا في حياتهم حسب ميلهم وهواهم، قائلين: إن لنا الحرية الكاملة في أنفسنا وأموالنا، وإن الدين لا دخل له في الحلِّ والحُرمة، وتناسوا أن الله تعالىٰ وصف هذا الدين بالكمال في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]، فمن تمام هذا الوصف بيان حكم ما جدَّ في هذه الحياة، وانتظامه لكل ما تمس إليه حاجة البشر.

فبالتأمل لما جاء به هذا الدين القويم يظهر أنه أوجب العبادات التي يتقرب بها إلىٰ الله، رجاء رحمته وجزيل ثوابه، كما أباح المعاملات والمكاسب التي لا ضرر

---

(١) في عام ١٣٩٨هـ كلف الشيخ رحمه الله بكتابة بحث يتعلق بالمسكرات والمخدرات، لتقديمه للمؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المخدرات والمسكرات، المنعقد في المدينة المنورة بدعوة من الجامعة الإسلامية في تاريخ ٢٧ - ٣٠/ ٥/ ١٤٠٢هـ، فكتب رحمه الله هذا الكتاب وقدمه في المؤتمر الذي شارك فيه ممثلون من سبع عشرة دولة إسلامية.



فيها ولا إثم، وأمر بالأكل من الطيبات، لما لها من الأثر الواضح علىٰ البدن من آثار سيئة، تضر الفرد والمجتمع.

والخبائث المحرمة قد ذكر بعضها بالتفصيل، بحيث أدرك كل عاقل خبثه وبشاعته، ونفور العقول والفطر عنه، وأُلحق به كل ما يعمه وصف الخبث والقبح، أو يشتمل علىٰ ضرر، ولكن من حكمة الله أن فاوت بين خلقه في العقول والأفهام، فحال سوء الفهم دون إدراك ما في بعض الحرمات من أضرار وآثام، بحيث استحسن الخلق الكثير بعضها، واستحلتها نفوسهم، وعميت أو تعامت عن أضرارها وآثارها السيئة، حتىٰ تمكنت وانتشرت، وتعاطاها الجماهير بلا نكير.

وهذا الوصف ينطبق تمامًا علىٰ امتصاص دخان التبغ، وما يلحق به، فمع خبثه الواضح الجلي، ومع تنوع أضراره وآفاته، وعدم الفائدة والمنفعة فيه، ولو من أبعد الوجوه، وقد أكب عليه الجماهير في مشارق الأرض ومغاربها، وأصبح مما يتفكه به، ويتلذذ بشربه، وتعبق بأنتانه المجالس والمجتمعات، وذلك ما حملني علىٰ تحرير هذه الأوراق، واختيار الكتابة في هذا الموضوع، وتأليف ما اجتمع لدي فيه من معلومات، قيامًا ببعض ما أوجب الله من النصيحة والبيان، ورجاء الانتفاع والتأثر، والله ولي التوفيق.

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

٢٧/ ٥/ ١٤٠٢هـ

مادة التبغ وأول ما عرف

نقل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عن الأطباء قولهم في التبغ: هو نبات حشيشي مخدر مر الطعم، وبعد التحقيق والتجربة ظهر أن التبغ بنوعيه: التوتون، والتنباك، من الفصيلة الباذنجانية، التي تشتمل على أشر النباتات السامة، كالبلادونا، والبرش، والبنج، وهما مركبان من أملاح البوتاس، والنوشادر، ومنه مادة صمغية، ومادة حريفة، تسمى: (نيكوتين)، قالوا: وهي من أشد السموم فعلاً[١]، وهكذا نقله الشيخ عبد الرحمن الجطيلي، مع اختلاف في بعض الحروف[٢]، وعرفه الدكتور صالح المنصور، بأنه شجرة أمريكية الأصل، وتزرع الآن في معظم بلاد العالم، فتبلغ من - ١ - إلى - ١/٦٠ - متر، وتنبت في البلاد المعتدلة، ولكنها في البلاد الحارة تنمو وترتفع، حتى تصل في الطول إلى خمسة أمتار، وأوراقها المجففة تستعمل سعوطاً، وتدخيناً، ومضغاً.

ظهر هذا النبات منذ اكتشف الأندلسيون أمريكا، فلما دخلوا فيها وجدوا لأول مرة شجرة التبغ حول المدينة المسماة (تباغو)، فسموه باسمها، ومنه أخذ الافرنج كلمة (تباك)[٣].

وقال الدكتور صبري القباني: وقد انتقلت إلى أوربا أوراق التبغ عقب اكتشاف أمريكا، فلاحظ (كريستوف كولومبس)، عام ١٤٩٢م أن سكان القارة الجديدة يدخنون أوراقاً صفراء، يضعونها في أنابيب طويلة تسمى (توباكو) فأعجب بها، ونقلها معه إلى أوربا، حيث حرف الفرنج اسمها، فغدا (توباك) وعربها العرب،

---

(١) فتوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله ص ١.

(٢) بيان خطر المخدرات ص ٢٣.

(٣) الدخان في نظر الإسلام ص ٤.

فأسموها (طباق)، وتلقفها في البرتغال سفير فرنسا -آنذاك- المدعو (جان نيكوت)، فتقرب بها زلفى إلى مليكته (ماري دي مدسيس) في باريس، التي أغرمت باستعمالها بصورة دائمة[١].

ومنه تعرف أن الاسم أعجمي الأصل، وأن العرب لم تعرف هذه الشجرة، وإنما عربت بعد ما ظهر استعمالها، وتعرف خطأ السيد مرتضى الزبيدي، شارح القاموس، الذي ألف رسالة سماها: (هدية الإخوان في شجر الدخان)، وطبعها الأستاذ حمد الجاسر عفا الله عنه، في (مجلة العرب)، وقد حاول الزبيدي إثبات تقدم هذه الشجرة، ونقل كلام أهل اللغة في تسميتها بهذا الاسم (طباق)، ثم أطال الزبيدي بنقول عن أطباء زمانه، حول الدخان، ولعله رحمه الله لم يعرف حقيقة هذه الشجرة، والواقع أن شجر الطباق المشهور أكبر جداً من شجر التبغ، وبينهما فرق كبير في الأوراق والثمر، والاستعمال، فلا يغتر بتلك الرسالة.

ولعل استعمال التدخين قديم في الأمم، فقد قال حسين عاصي: وقد وجد في بعض الحفريات في أمريكا آثار يعود تاريخها إلى - ٦٠٠ - قبل الميلاد، بينها غليون من الفخار، لتدخين التبغ، وفي سنة ١٤٩٥م نقل الراهب (رامون بان) إلى القارة الأوربية الأخبار عن التبغ، واستعماله في القارة الأمريكية للتدخين، وفي سنة ١٥١٩م جاء الرحالة (أوفيدو) لأول مرة بأوراق التبغ إلى أروبا، أما بذور التبغ فلم تصل إلى القارة الأوربية إلا في سنة ١٥٥٩م وكان ذلك من البرازيل، وفي تلك السنة نفسها استنبت (جان نيكون) سفير فرنسا في البرتغال بذور التبغ في حديقة منزله، وأخذت زراعة التبغ بعد ذلك تنتشر بسرعة هائلة في جميع أنحاء القارة الأوربية، وقد اشترك في هذه الحملة الدعائية قسس وأطباء، وحتى أمراء بعض المقاطعات،

---

(١) طبيبك معك، ٢/ ٥١.



وفي الوقت نفسه ابتدأت عادة التدخين في الظهور والانتشار كمكيف في حالة الصحة، وانعدام الأمراض، وخلال مائة سنة عمت زراعة التبغ واستعماله للتدخين جميع أقطار العالم، بسرعة قصوى، لامثيل لها في انتشار أي نوع من أنواع المزروعات الأخرى[1].

وفي (دائرة معارف الناشئين): تبغ (طباق) هو نبات، الغرض من زراعته استعماله في التدخين، وفي صناعة النشوق، ويحتوي على مادة (النيكوتين)، وهو سم قاتل للحشرات، وتعد أوراق التبغ لاستعمالها في التدخين، بأن تخمر أولاً ثم تجفف، أما النشوق فيحضر بواسطة طحن العروق التي في وسط الأوراق، حتى تصبح مسحوقاً ناعماً، ويزرع التبغ في البلاد التي تقع حول المدارين أ. هـ.

وذكر المنقور نقلاً عن أبي الحسن المصري الحنفي أن حدوثه في حدود الألف يعني للهجرة، وأن أول خروجه بأرض اليهود، والنصارى، والمجوس، وأتى به رجل يهودي يزعم أنه حكيم، إلى أرض المغرب، ودعا الناس إليه، وأول من جلبه إلى البر الرومي رجل اسمه (الاتكلين)[2]، من النصارى وأول من أخرجه ببلاد السودان المجوس ثم جلب إلى مصر، والحجاز، وسائر الأقطار[3].

وقد ذكر الدكتور صبري القباني[4]، أن عادة التدخين عرفت منذ العصور القديمة، قبل الميلاد، وأن جنود الرومان كانوا يتلهون بعد المعارك بتدخين أوراق الخس، وهي تحتوي على مواد مهدئة للأعصاب المتوفزة.

---

(1) كيف تبطل التدخين ص ٤١.

(2) كذا رسم وتعليق السفير (جان نيكون) كما سبق.

(3) الفواكه العديدة (٢/ ٨٠).

(4) طبيبك معك (٢/ ٥١).



أنواع استعماله

١- من الناس من يستعمله مضغاً بالفم، وهو أقبح استعمالاته، وأشدها ضرراً، وهو من المخدرات القوية، فتسري مواده السامة في الأمعاء سريعاً، وتحدث تأثيراً قوياً في الأعصاب البدنية.

٢- ومنهم من يستعمله استنشاقاً مسحوقاً مع أجزاء منبهة، وهو مضر أيضاً، لاحتوائه على مواد سامة.

٣- ومنهم من يستعمله تدخيناً عن طريق السيجارة، أو السيجار، أو النارجيلة، أو القصبة المعروفة بالغليون، وهو أغلب أنواع استعماله؛ لتمكن المدخن منه في كل حال.

حكم استعمال التبغ في شريعة الإسلام

لقد عرفت في المقدمة بعض أهداف الإسلام ومقاصده، وتجلى لك ما يبرز كماله، وانتظامه لكل خير، وتحريمه للخبائث، وكل ما يؤذي ويتعدى ضرره.

وبهذه النظرة العامة يتضح لك أن استعمال الدخان شرباً، أو مضغاً، أو نشوقاً أو نحوه، محرم وممنوع، فلا يباح بحال من الأحوال، ولكن لا بد لنا بعد هذا الإجمال من التفصيل في أسباب التحريم، بذكر بعض الأدلة العقلية والنقلية، بحيث لا يتوقف بعدها العاقل في التحريم إن شاء الله تعالى.

أولاً: آثاره العامة على العبادات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[المائدة من الآية ٩١] ذكر تعالى من أسباب تحريم الخمر والميسر الصد عن الذكر وعن الصلاة، وهذه العلة متحققة في الدخان، فإن شاربه في العادة يهرب عن حلق الذكر، والقراءة، ويألف اللهو، والباطل عادة، وهو غالباً من أكسل الناس عن الصلاة، وأبعدهم عن حضور المساجد إلا ما شاء الله، ومن صلى منهم رؤيت عليه آثار التاقل، فهو لا يأتي الصلاة إلا دباراً، ولا يخشع في الصلاة، وينصرف مسرعاً قبل الذكر والراتبة، وتثقل عليه النوافل الأخرى.

وهكذا سائر العبادات، وبالأخص الصيام، فإنه أثقل على المدخنين من غيره؛ لأنهم به ينفطمون عن لذتهم وسلوتهم، وهي التدخين، وينالهم بتركه آلام وصعوبات نفسية، ولهذا يفطر كثير منهم بالتدخين فقد رأيت ورأى غيري جماعات منهم وأفراداً، يدخنون في نهار رمضان علناً، ويبدون مبالاة والمستخفون أكثر، فانظر كيف أخلوا بركن عظيم من أركان الإسلام، بسبب هذا الدخان، ولعل ثقل العبادات وتكرهها حدث بسبب عمى القلب الحسي والمعنوي، فإن الدخان ذنب



كبير يتصل بالقلب مع الغذاء، فيطمس نوره، وبذلك يحصل الزيغ والانتكاس، وبغض الخير بأجمعه، والكراهية لأهله، والهرب منهم، وإلف الفسقة وسائر العصاة، والانتظام في سلوكهم، وذلك هو الخسران المبين.

ثانياً: كونه من المسكرات

.ويعرف الإسكار بأنه كل ما يغطي العقل مطلقاً، وإن لم يكن هناك شدة مطربة، ولا يشك عاقل أن ذلك يحصل بالتدخين، وبالأخص إذا أكثر منه شاربه، أو فقده يوماً أو يومين ثم وجده، حيث إن كثيراً من شاربيه فقدوا وعيهم، فمنهم من سقط في نار فاحترق، ومنهم من وقع في بحر فغرق، ومنهم من وقع في بئر فهلك، ولا ينكر هذا إلا مكابر، وبعضهم يحدث عند الناس وهو لا يشعر، وقد ثبتت هذه الوقائع ونحوها بالمشاهدة، وبالنقل المتواتر، كما نقل ذلك أو بعضه كل من كتب في الدخان قديما أو حديثا[١] .

وحكى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في الفتوى[٢]، عن الأستاذ مصطفى الحمامي قال: كنت أمشي يوماً مع أحد طلبة العلم، فعرج على بائع دخان اشترى منه سيجارتين، أشعل إحداهما وأقسم علي يميناً غليظاً أن آخذها منه وأستعملها، فتناولت السيجارة، أجذب في دخانها، وأنفخه من فمي، فقال: ابتلع ما تجذبه، فإن قسمي على هذا، ففعلت ما قال نفساً واحداً، والله ما زدت عليه، وإذ دارت الأرض حولي كدورة المغزل، فبادرت إلى الجلوس، وظننت أني انتهيت، وظننت بصاحبي الظنون، وبكل تعب وصلت إلى بيتي وأنا راكب، وهو معي يحافظ علي، وبعد ذلك مكثت آخر اليوم التالي تقريباً، حتى أحسست بخفة، فحكيت هذا لكثير من الناس، فأخبروني أن الدخان يعمل هذا في كل من لم يعتده.

---

(١) انظر الدخان في نظر الإسلام ص ٣٤، والخمر وسائر المسكرات ص ١٥٧.

(٢) فتوى سماحة مفتي الديار السعودية ص ١٣.



ونقل الشيخ عمر بن محمود في تحفة الودود[١]، عن رجال مرضيين أفطروا في رمضان مع بعض من يشرب الدخان فابتدأ المدخنون به فأكثروا منه، فأغمي عليهم، فاستلقوا على أقفيتهم، وبقي كل منهم يزيد ويهمهم، حتى قرب وقت صلاة العشاء.

هذا وقد يكذب أكثر المدخنين بهذه الوقائع، ويحتجون بتعاطيهم له دائماً دون أن يحدث لهم شيء من ذلك ولكن لا يلزم من ذلك نفي هذه الأخبار المشهورة.

قال الشيخ محمد بن علان في (إعلام الإخوان في تحريم تناول الدخان): وكونه إذا تناوله بعد لا يؤثر فيه، لا يضر في ثبوت سبب التحريم، لأن مدمن الخمر إذا اعتادها لا تؤثر فيه تغيراً أصلاً، ولا يخرجها ذلك عن كونها حراماً، اعتباراً بأصل التغيير الثابت فيها للعقول، فكذا فيما نحن فيه[٢].

ثالثاً: كونه مفتراً ومخدراً

قال في القاموس: فتر سكن بعد حدة ولان بعد شدة، وفتر جسمه فتوراً، لانت مفاصلة وضعف، وأفتره الداء أضعفه، والفتار كغراب ابتداء النشوة.

وزاد في اللسان: المفتر الذي يفتر الجسد إذا شرب، أي يحمي الجسد، ويصير فيه فتوراً، وقال الخطابي: المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الأطراف[٣] اهـ.

والخدر، قال في اللسان: امذلال يغشى الأعضاء: الرجل، واليد، والجسد، والخدر من الشراب، والدواء، فتور يعتري الشارب، وضعف اهـ.

---

(١) ص ٢٦.

(٢) الدلائل الواضحات ص ١٧٠.

(٣) معالم السنن- باب النهي عن السكر ٤/ ٢٦٧.



ولا شك أن هذا الوصف موجود في التبغ، فإنه يخدر الأعضاء الظاهرة والباطنة، ويفترها، وبالأخص إذا فقده، أو امتنع عنه مدة ثم استعمله، كما يحصل لشاربيه عند الإفطار من الصيام، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو معاند، فقد أثبته وأحس به الكثير، ونقله عنهم الجماهير، ووصفه بذلك الأطباء والعارفون، ومن أثبت حجة على من نفى.

وسيأتي عن بعض الأطباء أن ما يحصل لصاحبه بعد استعماله من الراحة وفقد النصب، إنما هو من أثر تخديره للأعصاب، وتفتيره، للجسد، وأنه بذلك يذهل، ويذهب عن الإحساس بالألم أو التعب، وسنذكر إن شاء الله تعالى أدلة تحريم كل مسكر ومفتر، عند نتيجة الحكم بعد سرد الأسباب.

رابعاً: أضراره وآثاره السيئة على الأبدان

يتحفظ الناس عادة من دخان النار العادي أن يدخل الفم أو الخياشيم، أو الحواس، والمسام، لما يحصل عنه من الشرق، وتغيير الهواء الطبيعي، وقد أثر عن جالينوس الحكيم أنه قال: اجتنبوا الغبار، والدخان والنتن، وعليكم بالدسم والطيب والحلوى، ولا حاجة بكم إلى طبيب[1]، فهذا الإرشاد من هذا الطبيب المعترف له بالتقديم في هذا العلم يتضمن التحذير عن هذه الثلاثة التي تضر بالبدن ضرراً عاماً.

ولا شك أن الدخان من حيث هو يسود عادة ما اتصل به من الثياب والسقوف، والحيطان، كما هو مشاهد، فما ظنك بهذا التتن المنتن، الذي قد اجتمع به كل وصف قبيح، فلو لم يكن فيه إلا سواده القاتم، الذي ينصبغ به كل ما وصل إليه، فلو اتصل دخان التبغ بثوب ناصع البياض، لقلبه إلى السواد الحالك، ثم من الصعب تنظيفه بعده، وإزالة أثره، فما ظنك بفعله في الأحشاء، وجدران الصدر، التي يتراكم عليها، ويتكرر اصطدامها به كل حين، لا شك أنه سيوهنها، ويضعف قواها، علاوة على تغييرها وتسويدها الذي لا يمكن تنظيفها عن أثره، ولا تطهيرها عن رجسه ووضره.

---

(١) ذكره ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٤١٨، وغيره.



ولقد حذر منه الأطباء المعتبرون، وبالغوا في التحذير من التلوث به، وأفادوا أنه يسود الأسنان، ويزيل رونقها فتتآكل بالسوس، حتى يضطر إلى خلعها، وهناك يفقد الشخص لذة الطعام. كما أن حرارته تثير ورم الشفتين، ويغير رائحة الفم، وينهار به الفم والبلعوم، ويسبب الإصابة بمرض الغلصمة، وبالتهاب اللوزتين، ويضعف البصر ويكدر صفاء العين، وقد يفقد البصر كلياً، ويضعف بقية الحواس كالسمع، والشم، والذوق، ويسبب السعال الشديد، وضيق الصدر، وعسر التنفس، والنزلات الشديدة التي ربما أدت إلى الاختناق.

ويجلب البلغم والأمراض الصدرية، ويضر بالرئة، فيخرقها، فيحدث منه السل الرئوي، وسرطان الرئة، بل السرطان العام. ويحدث خفقان القلب، وتشويش انتظام ضرباته، ومرضه، والجلطة فيه، والموت بالسكتة القلبية، كما وقع ذلك كثيراً، ويضعف العقل، بحيث يصبح المدخن ذا حماقة ورعونة غالباً، ويسبب صداع الرأس، ويقلل شهوة الطعام، ويفسد الذوق والمزاج، ويسبب عسر الهضم، ويمنع الانتفاع الكلي بالغذاء، ويسد مجاري الدم، ويفسد كروياته، ويقلص الأوعية الدموية في الأطراف، ويورث الهزال وضعف القوى، كما هو مشاهد، ويفتر المجموع العصبي، ويضعف شهوة النكاح، ويشوه الوجه، وتظهر على صاحبه زرقة وصفرة تعم بدنه، وله تأثير في قصر العمر كما سيأتي[1].

---

(١) التدخين يؤدي إلى حوالي (٢٥) مرض ما بين أمراض مزمنة وأمراض قاتلة ومنها: سرطان الفم والبلعوم، والحنجرة، والمريء، والرئة، والبنكرياس، والكلى والحالب، والمثانة، كما يسبب الصدمة الدماغية، ومرض الشريان التاجي، وتمدد الشريان الأورطي، وتصلب الشرايين، والتمدد الرئوي المزمن. وهذه الأمراض لا يصاب بها المدخن فقط ولكن يصاب بها من حوله أو من يقال عنهم المدخنين السلبيين، والمدخن السلبي هو من يستنشق الدخان من حوله ولكنه لا يدخن ويصاب بنفس الأمراض ولكن بنسب أقل. =



وقد ذكر الأطباء السبب في إحداثه لهذه الأمراض ونحوها، وهو اشتماله على مادة سامة، اكتشفها العالمان (بوسلت) و (رايمان) من جامعة (هايدلبرج) الألمانية في سنة ١٨٢٨م وسمياها (نيكوتين) نسبة إلى (جان نيكوت) السفير الفرنسي في البرتغال، الذي سبق أنه أول من استنبت بذور التبغ في أوربا، ثم في سنة ١٨٦٨م أجرى العالمان النمساويان (دفورزاك) و (هاينريش) أول تجربة لدراسة سم (النيكوتين) على نفسيهما في العاصمة النمساوية (فيينا) وأما تركيب (النيكوتين) الكيماوي فقد اكتشفه العالم الكيماوي (بيز) في سنة ١٨٩٣م[(١)].

(والنيكوتين) هو المادة السامة في التبغ، وتتراوح نسبة وجوده بين (الأثر الصغير و١٢٪) باختلاف نوع التبغ وموضع الأوراق من النبتة، وعلى العموم يمكن اعتبار نسبته المتوسطة بين (١ — ٣٪)، وهذا يعني أن كل واحد غرام من التبغ يحتوي ٢٠ ملي غرام من (النيكوتين)، وأن كمية (النيكوتين) الموجودة في سيكار واحد، وزنه

= وتقول إحصائيات منظمة الصحة العالمية أن عدد من يموتون بسبب أمراض التدخين (٤) مليون نسمة يعني أكثر من عدد قتلى القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي في الحرب العالمية الثانية الذين بلغ عددهم ربع مليون قتيل.

وبالنسبة للنساء المدخنات فإن التدخين يسبب لهن كثيراً من الأمراض منها: إذا كن حوامل يؤدي إلى إجهاض ٦٠٪ من حالات الحمل، وزيادة ٤٠٪ في نسب تشوهات الأطفال عن المرأة العاديه، وزيادة ٦٥٪ في نسب إصابة الأطفال بأمراض الصدر والحساسية، وزيادة أكثر من ٥٠٪ في نسب وفاة الأطفال عقب الولادة مباشرة، وعدم اكتمال فترة الحمل، وولادة الأطفال ناقصي الوزن، وعدم اكتمال نمو الرئتين، والموت المفاجئ للطفل في سن صغيرة بعد الولادة، والتهابات الجهاز التنفسي والأذن الوسطى وغيرها كثير.

إن مشكلة التدخين هي في وجود مادة النكوتين القاتلة لأنه عند حرق السجارة يتكون أكثر من (٤٠٠٠) مركب سام.

(١) كيف تبطل التدخين ص ٤٤.

خمس غرامات، تكفي لقتل رجلين بالغين، إذا أكل كل منهما نصف السيكار، لأن الجرعة المميتة من سم النيكوتين هي ٥٠ ملي غرام[١].

وقد دلت الأبحاث العلمية على أن (١٠ – ٣٠ ٪) من (النيكوتين) الموجودة في التبغ، يصل أثناء التدخين بواسطة تيار الدخان الأساسي إلى الفم، فكل غرام واحد من التبغ إذاً يبعث إلى فم مدخنه (٣ – ٧) ملي غرام من (النيكوتين)[٢].

أما مصير هذه المادة السامة، فذكروا أن عدة نقط من النيكوتين توضع على لسان إنسان، كافية لقتله بعد بضع ثوان، مما يثبت سرعة امتصاص الجلد المخاطي للسم، فعند تدخين غرام واحد من التبغ، يمتص الفم من دخانه (١ – ٣) ملي غرام من (النيكوتين)، وبعبارة أخرى فإن الفم يمتص نحو (١٠٪) من مجموع (النيكوتين) الموجود في التبغ عند تدخينه، ثم إن الكمية الممتصة من (النيكوتين) تزيد عن ذلك كثيراً عند من يبلعون الدخان[٣].

ويقول الدكتور إسماعيل رشدي مفتش الصحة الغربية: الطنباك والدخان نبات سمته العرب الطباق، وبتحليله اتضح أنه يحتوي على مادة سامة، إذا وضع منها نقطتان في فم كلب مات في الحال، وخمس نقط منها تكفي لقتل جمل[٤].

ويقول الدكتور صبري القباني: وتحوي أوراق التبغ مادة سامة، تسمى (بالنيكوتين)، نسبة إلى السفير (جان نيكوت)، وهذه المادة تؤلف ثمانية بالمائة من وزن التبغ، تأثيرها السمي على الجسم يكفي أن نذكر أن عشرة سنتي غرامات منها

---

(١) كيف تبطل التدخين ص ٤٤.

(٢) كيف تبطل التدخين ص ٥١.

(٣) المصدر السابق ص ٥٧.

(٤) أدب المحلى ض ١٢٢.



تكفي لقتل كلب متوسط الحجم، وتحوي لفائف التبغ أيضاً سموماً أخرى، لا تقل خطراً عن النيكوتين (كالاسيد نيدرك)، وتبتدئ مضار التدخين بالفم، بحيث تتكون بسببه على سطح ميناء الأسنان طبقة صفراء ضاربة إلى السود، تساعد على حدوث التخمرات في الفم، وعلى تنخر الأسنان، ويضطر المدخن إلى بلع الهواء واللعاب أثناء مص اللفافة، لأن الدخان مثير للغدد اللعابية، وهو يزيد في مفرزاتها، فيصاب المدخن بعسر الهضم، وانتفاخ البطن وتطبله، وقد دلت الإحصاءات العديدة على أن كل المصابين بالسرطان المري، أو بقرحة المعدة، هم من مدمني التدخين، والتدخين ينخر الكبد كما ينخر الأسنان؛ لأن من جملة وظائف الكبد امتصاص السموم وتنقية الدم، مثلها مثل المصفاة أو المرشحة، وامتصاصها لسموم التبغ المتوالية يرهقها ويتعبها، وقد يضمخها ويصيبها بالتشميع، وتظهر آثار هذه العلة على وجوه المدخنين، فتبدو صفراء كالحة، وتغدو جلودهم رخوة رخصة، وتنبعث من أفواههم روائح كريهة منفرة، ونتيجة تعب الكبد وكسلها يصاب المدخن بالإمساك، فيكافحه بالمسهلات دون جدوى، وينتقل من مسهل إلى آخر، محملاً أمعاءه فوق طاقتها، فتصاب بالتهابات القرحات، وإذا عجزت الكبد الضعيفة عن امتصاص هذه السموم، مرت السموم في الدورة الدموية، فساعدت على تصلب الشرايين، أو أصابت القلب فأضنته وأتعبته، ويشعر المدخنون عادة بالدوار، والخفقان، وبخناق الصدر.

ولا تقتصر مضار التدخين على ما ذكر، فقد أظهرت التجارب المجراة على الأرانب المسممة بالنيكوتين تأثر المخ والمخيخ، فضلاً عن اضطراب العصب السمباتي، لذلك يشكو مدمنو التدخين الأرق، والقلق، والتحسس، والكآبة، ووهن الإرادة، وضعف الذاكرة، وقد يظهر عليهم الكسل والخمول، والتعب والنصب، ويصاب أكثرهم بالعنانة، والضعف الجنسي، ومن البديهي القول أن

الدخان يخرش أغشية الحنجرة، والقصبات، والرئتين، ويستثيرها، فتزداد مفرزاتها، ويتعرض صاحبها إلى السعال، والرشح، والزكام، فهو لا يزال يسعل، وينفث ويبصق، وإن كان صوته ندياً زايلته ندواته ورخامته، لتخرش أوتار حنجرته الصوتية[1].

ويقول الدكتور مدحت فريد: ولقد أجرى علماء أمريكا أبحاثاً شتى، حتى توصلوا أخيراً على أن هناك علاقة بين التدخين وسرطان الرئة، وأثبتوا ذلك بالإحصائيات على المرضى المدخنين، ومن زمان طويل قام بعض العلماء من مستشفى (مايو) المشهورة بأمريكا بعمل بحث عن تأثير التدخين في الجسم عامة، فوصلوا إلى أن التدخين يؤدي إلى النتائج التالية:

١- انخفاض في درجة حرارة الأطراف أثناء التدخين، نتيجة لانقباض الأوعية الدموية.

٢- وجد أيضاً أن التدخين يزيد من سرعة ضربات القلب، ويرفع ضغط الدم، فقد زاد النبض عند المدخنين في المتوسط ٦٩ - ١٠٥، وارتفع الضغط في بعض الأحوال إلى ١٩٠، وهو ارتفاع خطير.

٣- ازدياد عملية احتراق المواد الغذائية، وبمعنى آخر إن التمثيل الغذائي يزداد بالتدخين، لأن التدخين يسبب احتراق الغذاء الزائد، بحيث لا ينتفع به الجسم.

ولقد ثبت علميا أيضاً أن هناك علاقة وثيقة بين التدخين وسرطان الفم، ويشمل سرطان الشدق، واللسان، والشفاه، وسقف الحلق.

ومن بحث عن مرض (اللكوبلكيا)، وهو مرض له خواص الميل إلى التحول إلى سرطان، وجد أن جميع المرضى يدخنون، وكانوا بترتيب الأغلبية يدخنون السجائر، والبائث، والسيجار، وأخيراً مضغ التبغ.

---

(١) طبيبك معك / ٢/ ٥١.



أما العالم (روفد) فقد استطاع أن يستخلص وجود مادة سرطانية، من تقطير المواد الناتجة عن احتراق السجائر، كما وجد أن العوامل الكيماوية، والحرارية، والميكانيكية، الناتجة عن احتراق (الطباق) من الغليون تسبب مرض (اللكوبلكيا) السرطانية، بنسبة أكبر من السجائر والسيجار، وجائز جداً أن لا يشعر المريض بأي أعراض خاصة، وإن كان في بعض الأحيان يشعر بجفاف في الفم، ونشفان في الريق، وحرقان بعد التدخين، ولكن هذه الأعراض غير مؤلمة، حتى تهيب المريض إلى أن يذهب إلى طبيبه، وفي بعض الأحيان تتكون خلايا سرطانية، في مكان الحرق المتسبب من التدخين في الفم، دون أن يشعر المريض بأي ألم، وهذا من مساوئ مرض السرطان، إذ أنه يصبح معتماً، وقد تتحول هذه الحالات إلى سرطان، وإذا ابتدأت (اللكوبلكيا) في سقف الحلق، نجد بقعة كبيرة بيضاء، تظهر في وسطها نقط صغيرة حمراء، عبارة عن فتحات قنوات الغدد، الموجودة في سقف الحلق، وكل ذلك ناتج عن التدخين. إن معاونة المريض هامة جداً، وعلى المريض أن يعلم أنه لن يتحسن قبل ستة أشهر، وعليه في خلالها أن يمتنع عن التدخين.

وقد انتكست حالات بعد شفائها، لأن المريض عاد إلى التدخين، ومعذرة أيها المدخنون إذا قسوت عليكم، فما أردت إلا تخليصكم من براثن عدو عنيد[1].

ونقل الشيخ عبد الرحمن الجطيلي عن مجلة الجامعة الإسلامية ما نشرته ترجمة عن مجلة (برلتشتر) عدد ١١٩٢ أكتوبر ١٩٦٧م ما نصه:

لا تتوقف الالتهابات الشعبية التي تحدث للمدخنين، إذا توقفوا عن التدخين، ولكي تعرف العلاقة بين التدخين والنزلة الشعبية، لا بد أن يتوقف التدخين ستة أسابيع كاملة، توقفاً تاماً، وفي الوقت نفسه التوقف عن كل علاجه للسعال

---

(١) صحتك في فمك وأسنانك ص ١١٢.

والبلغم، حتى يعرف النجاح الذي أحرز من وقف التدخين وحده، ومن تجاربنا الكثيرة اتضح أن الشباب الضعفاء الذين يدخنون بكثرة تفارقهم أعراض الصدر جميعاً خلال أسبوعين من توقفهم عن التدخين.

وخلال ستة أسابيع، فجميع الاختبارات الفسيولوجية، التي سبق أن بينت أوجه الضرر والانسداد الشعبي الناتجة عن الالتهابات الشعبية المزمنة تذهب ويرجع النفس إلى طبيعته، وقد جرى بحث وتقدير عن حالات النزلات الشعبية الشديدة في المدخنين قبل وبعد ستة أسابيع من انقطاعهم عن التدخين أي سيجارة، فكانت النتائج كما يلي:

رجل عمره (٤٢) سنة يعمل في الصناعة، ويدخن (٣٠) سيجارة في اليوم، ففي مدة خمسة عشرة سنة من ذلك، نشأت له نوبات من السعال مع بلغم، وقد زادت الحالة شدة في السنة الأخيرة، وبالفحص السريري لم يوجد سوى نقص في أصوات التنفس، على كلتي الرئتين بالسماعة، وبالأشعة وجد القلب صغيراً طبيعياً، والحجاب الحاجز يتحرك (٦،٩) سنتيمتر مربع في اليمين، و(٩) سنتيمتر مربع في الشمال، وأن حركة الحجاب الحاجز ضعيفة، وبطيئة عن البدء بالتنفس، وتزيد مع التنفس، وقد عمل جدول عرف منه أن الطاقة الحيوية في التنفس زادت بعد ستة أسابيع، من ١٥ إلى ٨٢٪ إذا أخرج النفس بقوة بعد ثانية واحدة، وكان أساس رجوع الرئتين إلى طبيعتهما الأولى إبطال التدخين فقط، بدون علاج آخر معها إلا قدر الذي يوسع الشعب، أو المضادات الحيوية، كالبنسلين، أو الأمزجة الصدرية.

تدخين السجائر

ولتدخين السجائر آثار عامة على الجهاز التنفسي أهمها:

١ - زيادة إفراز المخاط.

٢ - توقف النشاط الشعيري في إخراج البلغم.

٣ - زيادة تقلص العضلات الصغيرة المحيطة بشعب الهواء.

٤ - توقف نشاط البلاعيم، خلايا أكله، الموجودة في الحويصلات الهوائية.

٥ - تغيرات في الغشاء المخاطي للقصبة الهوائية، والشعب الهوائية.

وهذه الآثار تثقل الرئة بالإفرازات الغريبة، وتقلل من الحركة الشعرية للأهداب الموجودة على سطح الخلايا المباطنة للقصبة الهوائية والشعب الهوائية، والتي تعمل كمكانس للغبار والأوساخ، وبالتالي تتعطل عملية التخلص من الأتربة والأوساخ التي تدخل الرئة، وتقل كمية الهواء النقي لإدخاله التنفسي بالإصابة بالبكترية، وكذلك فإن نسبة الوفيات في الشباب الصغار والذين يدخنون نتيجة الالتهابات الرئوية أكثر بكثير مما يحدث لمن لا يدخنون، وعلى هذا فمعظم هذه الآثار والمضار تتعارض مباشرة مع تأثير العلاج، وكذا سبق أن قلنا، فالتوقف عن التدخين وحده يحدث آثاراً عجيبة في التخلص من أعراض السعال، وضيق التنفس، وبالرغم من هذه الحقائق فالعقبات لإبعاد هذا العنصر الخطر في المدخنين كثيرة جداً، فالمرضى يحاولون المجادلة بأن الهواء نفسه ملوث بدخان المصانع، والسيارات... الخ.

ولكن تدخين السجاير يكون أكثر تلويثاً للرئة بملايين المرات، من أشد الأجواء امتلاء بالدخان. و(١٦٠) مرة أكثر تركيزاً من الجو السليم المصنع سم السيانيد، و(٥٠) مرة أكثر تركيزاً الدياكسيد النتروجين. و(٤٢٠) أكثر تركيزاً من الجو الملائم الأول أكسيد الكربون، والمراد بالعضوية الموجودة في الدخان تترسب في الرئتين، وتخزن في الخلايا الأكلة البلاعيم ما كروفاج، ولا شك في أن ضرر الدخان لا يستوي بين جميع المرضى، فالأبحاث عن داء النفاخ تؤكد الأثر الوراثي بنقص الأنزيم.

ثم جاء بعد جملة: مما يجعل الناس أكثر تعرضاً للأخطار من بقية الناس لداء النفاخ، فلا يفتر بما تتزايد في المدخنين الذين يرثون الاستعداد في حين أن الآخرين يكونون في حمى من هذا النقص الوراثي"[1].

ونقل الشيخ سليمان الحميضي ما نشر في مجلة الوعي الإسلامي عدد (٧٣) محرم ١٣٩١هـ تحت عنوان: تقرير مفزع عن التدخين، ونصه: أذاعت كلية الأطباء الملكية البريطانية تقريرا من (١٥٠) صفحة عن أضرار التدخين قالت فيه:

أن (٩٠) في المائة من حالات الوفاة بسرطان الرئة تحدث نتيجة التدخين، وأن مدخني السجائر أكثر عرضة للوفاة في الأعمار المتوسطة، بنسبة الضعف عن غير المدخنين، كما أن شخصين من كل خمسة مدخنين يموتون قبل أن يبلغوا الخامسة والستين من أعمارهم، وذكر التقرير أيضاً أن من بين الأسباب الرئيسة لحدوث الوفاة بين المدخنين بالإصابة بسرطان الرئة، والنزلات الشعبية المزمنة، وتفتت الكبد والسل، وأمراض الشريان التاجي، والذبحة الصدرية، وانتفاخ الرئة، وسرطان الفم، والبلعوم، والحنجرة، والمثانة، والبنكرياس، ويضاف إلى ذلك أن الأطفال الذين تلدهم نساء يدخن السجائر يولدون أقل في الوزن الطبيعي، بما تتراوح بين (١٥٠) إلى (٢٤٠) جراماً، كما أن هؤلاء الأمهات أكثر عرضة للسقط والولادة قبل الأوان"[2].

وللدكتور (فانديك) مفيد العلوم الطبية في بيروت، جواب سؤال من سأله عن تدخين النارجيلة، مليح أم قبيح؟ فأجابه عن تروّ، وتجربة، واختبار، أن التدخين من أي نوع كان عادة قبيحة مضرة، ورذيلة كريهة، متعبة للصدر، مؤذية للهضم، مضرة بالصحة غير مفيدة أصلاً"[3].

---

(١) بيان خطر المخدرات ص ٢٨.

(٢) كشف الستار ص ١٧.

(٣) تحفة البيان ص ١٩.

ونقل الشيخ أحمد بن حجر قاضي محكمة الدوحة عن مجلة (دنيا العلم) عدد (٩) السنة الأولى ما نصه: لقد أزف الوقت الذي يجب أن يعرف فيه الجميع مخاطر التدخين، وأن هذه المادة الرديئة إنما تؤدي إلى الموت، ومصاعب آلام على مستوى كبير، وأنه يجب الإفاضة في شرح مخاطر التدخين، على أمل إنقاذ كثير من الشباب المثقف الذكي، والذي ما زال يتعجب أو يعجب لكثرة الحديث حول هذا الموضوع. والمرض الفتاك هذا إنما هو القمة في سلسلة الأمراض الأخرى الناتجة عن التدخين، ومنها أمراض القلب الناتجة عن فقر الدم، وأمراض أخرى متصلة بالأوعية الدموية، كلها لها علاقة بهذه العادة السمجة، إلا أن سرطان الرئة هو أكثر ارتباطاً بالتدخين.

لقد كان هذا المرض نادراً جداً ولكن الثلث الأخير من القرن الماضي شهد ارتفاعاً كثيراً في الإصابة به، أولاً الرجال، ومؤخراً بين النساء.

وفي السنوات الستين الأولى من القرن الماضي، ازدادت الوفيات من جراء سرطان الرئة عما كانت عليه في العقد الماضي[1][2].

---

(١) الخمر وسائر المسكرات ص ١٥٩.

(٢) وجاء في نتائج المؤتمر الدولي العاشر حول التدخين والصحة المنعقد في بكين عام ١٤١٨هـ ما يلي:

١- هناك ٤٧٪ من الرجال البالغين و ١٢٪ من النساء البالغات يدخنون على مستوى العالم.

٢- معدل الاستهلاك السنوي من السجائر للفرد المدخن ثابتاً خلال السنوات العشر الماضية وهو ١٦٠٠ سيجارة في السنة.

٣- عدد المدخنين في العالم حوالي ١،١ مليار مدخن منهم ٨٠٠ مليون في الدول النامية.

٤- أثبتت الدراسات العلمية أن التدخين سبب رئيسي لخمس وعشرين مرضاً.

٥- تصل حالات الوفيات بالعالم حالياً إلى ٣،٥ مليون شخص سنوياً.

٦- يعتبر التدخين السبب الثاني للوفيات بعد أمراض القلب وحوادث السيارات.

نقلاً عن كتاب (التقرير الدوري للجمعية الخيرية لمكافحة التدخين، للأعوام (١٤١٧-١٤١٨-١٤١٩) ص ١٥٩



وللدكتور حجر بن أحمد بحث نفيس في الدخان، تحت عنوان: (التدخين انتحار بطئ) قال فيه هل تعلم:

١- أن المدخن يفقد ٨ إلى ١٢ سنة من عمره.

٢- أن المدخن يفقد ١٥ – ١٨ دقيقة من عمره لكل سيجارة يدخنها.

٣- إن التدخين أكبر مسبب للوفيات والأمراض التي يمكن تجنبها.

٤- إن المدخن حظه من السرطان عشرة أضعاف، وحظه من أمراض القلب ثلاثين مرة أكثر من غير المدخن.

٥- إن نسبة الوفيات بسبب التدخين أعلى من نسبة الوفيات بسبب الحروب، وحوادث السيارات.

٦- إن ٩٩٪ من المدخنين مصابون بالأنفسيا (مرض يؤدي إلى ضيق التنفس).

من هذه الحقائق العلمية، يتبين لنا أن التدخين يشكل ضرراً مباشراً على صحة الإنسان، وإذا كانت البحوث الطبية قد أثبتت بما لا يقبل الشك أن عادة التدخين تشكل خطراً أكيداً على صحة الإنسان، فإن ما تحاول الدراسات المتابعة اكتشافه هو مدى شمول أضرار التدخين على مجمل أعضاء جسم الإنسان، ومدى خطورته على كل عضو.

التدخين والرئة

من المعروف أنه عند مرور الدخان في الرئة تترسب المواد الضارة (كالنيكوتين) على الأغشية الرئوية، وخاصة على المناطق التي تنقسم فيها الأنابيب (القصبات الهوائية الكبيرة إلى أنابيب صغيرة، وهي نفس المنطقة التي تبدأ فيها أغلبية السرطان الرئوي)، ومن أشهر أمراض الرئة التي يسببها التدخين هي :

١ - (الأنفسيما): هو مرض يهدم تركيب الرئة ويفقدها مرونتها المطاطة، فيحتبس فيها الهواء ويؤدي تدريجياً إلى صعوبة التنفس، ولقد أقيمت مؤخراً دراسة طبية على أكثر من ألف شخص (مدخن) بعد الوفاة وقورنت رئاتهم مع رئات أموات غير مدخنين، فأثبتت الدراسة المقارنة التالية أن ٨٧٪ ممن يدخنون من (١-١٩) سيجارة يومياً، مصابون بالأنفسيما عند الوفاة، وحوالي ٩٩٪ ممن يدخنون (٢٠) سيجارة أو أكثر في اليوم مصابون، بينما عشرة في المائة فقط من غير المدخنين مصاب بهذا المرض عند الوفاة.

٢ - (السرطان): هو مرض خبيث ينتج عن نمو الخلايا بشكل خارج عن تحكم الجسم.

إن الخطر من الإصابة بالسرطان يزداد كلما زادت مدة التدخين، أو عدد السجائر المدخنة في اليوم.

في دراسة تجريبية على (٦٨) كلباً دربت على التدخين، لمدة (٨٥٨) يوماً، أمكن التوصل إلى النتائج التالية :

موت (٢٨) كلباً قبل انتهاء مدة التجربة، وعند فحص رئات الكلاب المدخنة وجد أن (١٢) منها مصاب بسرطان الرئة، وسرطان الرئة ليس هو السرطان الوحيد الذي له علاقة بالتدخين، بل إن سرطان الفم، الحلق المريء، البنكرياس، وغيرها لها علاقة معروفة بالتدخين.

القلب والتدخين

إن التدخين يزيد من تصلب الشرايين، وأمراض القلب في التدخين تزيد بنسبة ٣٣٪ على أمراض القلب بين غير المدخنين، فالتدخين يعتبر من العوامل الخطرة على القلب.

أمراض أخرى

هناك أمراض كثيرة يسببها التدخين، أو يزيدها سوءًا لا يمكن حصرها هنا، مثل قرحة المعدة، الإجهاض، موت الجنين، وخفة وزن المولود لأم مدخنة، وأمراض الشرايين وضعف البصر... الخ.

وهكذا فإن الحقائق السابقة تشير إلى مدى أضرار التدخين، وأن التدخين ليس إلا انتحار بطيء، وإننا نشجع من لا يدخن ألا يتشبث بالتدخين، والمدخن أن يبادر إلى الإقلاع، وترك الهواء النقي يتسرب إلى رئتيه[(١)].

وذكر كثير من أضرار التبغ في الكتاب الذي تحت عنوان: (الأمراض الباطنية والصدرية)، الذي اشترك في تأليفه أساتذة من كليات الطب بجمهورية مصر العربية فراجعه إن شئت[(٢)].

وقال الدكتور دمرداش أحمد لا أظن الجنس البشري منذ بدء الخليقة ضعف واستكان أمام عدو من أعدائه كما فعل أمام تدخين التبغ، كما أسرته هذه العادة وأوثقته، وأذلت كبرياءه، واستوى في ذلك صغار العمال الكادحين، الذين يقتطعون من أقواتهم وأقوات عيالهم، وكبار الأطباء والفلاسفة المفكرين، الذين أضاءت

---

(١) الخمر وسائر المسكرات ص ١٦٢.

(٢) الأمراض الباطنية والصدرية ص ١٢٣ -١٧٦.

الكون عبقرياتهم، وكشفوا هذه الآفاق البعيدة في مختلف العلوم والفنون، وقد كان السائد المعروف أن التدخين باعتدال قليل الضرر، أو عديمه للشخص السليم، ولكن البحوث العلمية المتصلة في السنين الأخيرة أثبتت أن الضرر الذي يحدثه التدخين لم يخطر أبداً على بال، وإليك الحقائق التي أثبتتها هذه البحوث.

قال الأستاذ (ديموند بالمير): بتتبع عشرين ألف حالة منهم مسرفون ومعتدلون وممتنعون أنشئ لكل منهم سجلاً خاصاً بجامعة (جون هويكنز) أثبت فيه كل ما يتعلق بصحتهم، وعوائدهم، وبدأت أبحاثه سنة ١٩١٩م وانتهت سنة ١٩٤٠م بالنتيجة التالية:

يؤثر التبغ على حياة الإنسان أثراً بالغاً، فتقصر هذه الحياة قصراً بيناً، مع كمية التبغ، والممتنعون أطول أعماراً من المعتدلين، والمعتدلون أطول من المسرفين[1].

وللدكتور خالد منيمنة خبير الصحة العالمية محاضرة قيمة حول الدخان كما في رسالة (الدخان في نظر الإسلام)، تتبع فيها آثاره السيئة، وأجاب عما قد يقال نحوه، وفي مجلة (حكيم البيت)، العدد السادس، بحث نفيس في الدخان، للدكتور محمود فريد، نقله الشيخ الدكتور صالح المنصور في (الدخان في نظر الإسلام)، يعتبر كنتيجة لبحوث أكابر الأطباء، وما توصلوا إليه، ونقل أيضاً عن صحيفة المدينة تاريخ: ٢٧- ٣- ٨٣هـ التحقيق الذي نشرته مجلة (نيوزويك) الأمريكية في علاقة التدخين بسرطان الرئة، وفيه أنه بعد الدراسة الطويلة تحقق أن نسبة الإصابة بسرطان الرئة بين المدخنين تبلغ عشرة أضعاف غير المدخنين، وتزداد كلما زاد عدد السجائر، فنسبة الذين يدخنون نصف علبة يومياً تزيد على غير المدخنين بخمسة عشر ضعفاً، أما

---

(١) عن كتابة الأستاذ عبد الرزاق عفيفي في مقدمة رسالة تحريم شرب الدخان للشيخ عبدالرحمن بن سعدي نقلاً عن كتاب البيان للشيخ إبراهيم عبد الباقي.

الذين يدخنون علبة كاملة يومياً، فتزيد بأربعة وستين ضعفاً... إلى آخره وهو منقول بتمامه في رسالة (الدخان في نظر الإسلام).

ولقد أكثر الأطباء والحكماء الكتابة في التدخين، وما ينتج عنه وانتشرت أقوالهم وطبعت مؤلفاتهم، وهي موجودة بكثرة في أغلب المكتبات الخاصة والعامة، ومن أوفى ما اطلعت عليه في ذلك كتاب بعنوان (كيف تبطل التدخين)، جمع وتنسيق حسين عاصي، ذكر أن المئات كتبوا إلى المؤلف يشكرونه، ويفيدونه أنهم وجدوا في كتابه ما ينشدونه، وأنه قد أحدث ما توقعه من إبطال التدخين لكل من هو صادق الرغبة، وقال في مقدمته: أيها المدخنون رجالاً كنتم أو نساءً، هل تشعرون بهذه المخلفات يتركها لكم عدوكم الدخان؟ هل تشعرون بالتعب وخفقان القلب عند المسير؟ أو عندما يصعد أحدكم درجاً؟ هل تشعرون بالتعب وخفقان القلب عند السباحة؟ الخ، هل تشعرون بفقدان الشهية للأكل مما يسبب الضعف الدموي، ويصبح لون وجوهكم أصفر، وكأنه خال من الدم؟ هل تشعرون بهذا السعال الذي ينتابكم من وقت لآخر؟ إنه لمن الحمق -والحمق الكبير- أن يعود الإنسان نفسه على عادة تخلو من الفائدة، ولا تجلب له إلا الضرر، وفي الوقت نفسه يصعب تركها.

وذكر أن المؤلف قد أدمن التدخين، ثم أقلع عنه لمدة (١٨) شهراً، ثم عاوده لبعض الأسباب ثم تركه، وقد اكتسب خبرة تامة حيث تركه مرتين، وعرف ما يحسن أن يعالج به عند الترك، وقد طبع الكتاب عدة مرات، اطلعت على الطبعة السادسة، وقد تكلم فيه على أضرار التدخين على الجهاز العصبي، وأعضاء الحواس، وجهاز الدورة الدموية، وجهاز التنفس، والجهاز الهضمي، وغدد الهضم، والكبد والبنكرياس، والجهاز البولي، والدم والعضلات، والجلد، وتوسع في كيفية تأثيره على كل من هذه الأعضاء[1].

---

(١) كيف تبطل التدخين ص ٦٦.



وتحت عنوان السرطان الرئوي والتدخين[١] تحدث عن استفحال هذا المرض في أمريكا وتزايده في السنوات الأخيرة، وأنه لا يعلم سبباً لهذا التمكن سوى التدخين.

وتحت عنوان، السيكارة والأوعية الدموية[٢]، ذكر تقلص الأوعية الدموية بسبب التدخين، وحدوث مرض (برجر) في الأطراف كالقدم، وأنه لا سبب له سوى التدخين، وذكر قصة شاب أصيب بهذا المرض، وتمكن منه وهو ابن (١٦) عاماً، ولم يبرأ حتى أقلع عن التدخين ، و(برجر) اسم الطبيب الذي اكتشف هذا المرض.

وتحت عنوان، التدخين وطول العمر[٣]، حقق تأثيره الظاهر في نقص الأعمار، وعمل جدولاً ظهر به الفرق الجلي في قصر الحياة وطولها، بين الممتنع، والمعتدل، والمسرف.

وتحت عنوان، التدخين ومرض القلب[٤]، حقق تأثيره على القلب وتسببه في الموت بالسكتة القلبية، وفيه مباحث كثيرة قد أشرنا إلى بعضها في مواضع أخرى.

وبالجملة فهو كتاب مفيد، يهم اقتناؤه لمن يريد التخلص من هذا الداء العضال.

ومثله في الأهمية مطبوعة بعنوان: (الدخينة في نظر طبيب)، لمؤلفها الدكتور دانيال هـ. كرس، تعريب (الزهرة)، نشر مكتبة المعارف بالطائف، مصدرة بكلمة قيمة للأستاذ مصطفى الرافعي، في تمكن الدخان من نوع الإنسان، وآثاره السيئة.

وفي الرسالة[٥] ذكر أثر سم النيكوتين، وأنه لا ترياق له، وأن المزارعين يستعملونه لإبادة الحشرات، بل ويخففونه بإضافة بضع قطرات منه في (٥٠٠) غرام

(١) كيف تبطل التدخين ص ٩١.

(٢) نفس المصدر ص ٩٨.

(٣) نفس المصدر ص ١٠٥.

(٤) المصدر السابق ص ١١١.

(٥) الدخينة في نظر طبيب ص ٢١.



من الماء، وذكر تأكد الباحثين أن مقدار ١/١٥ من القمحة أو أقل من هذه المادة تودي بحياة إنسان بالغ، وإن نسبة وجوده في التبغ من ١-٩٪ وذكر أيضاً[١] أن في التبغ (١٩) نوعاً من السموم، كل منها له مفعول قتال، وذكر[٢] تقريراً مهما عن آثاره على الأحداث للدكتور حسين زهدي كبير أطباء المعارف العصرية، كما نقل[٣] عن بعض مشاهير الحكماء مقالات قيمة في مضار التبغ وآثاره السيئة بألفاظ بليغة.

ونقل أيضاً[٤] كلمة للدكتور محمد عادل الشيخ، ذكر فيها ابتداءه بالتدخين، ومقدار ما كان يستهلكه يومياً وما اعتراه بسببه من أعراض وآفات، فارقته بعد أن أقلع عنه، ورجعت إليه صحته، ووجد للطعام لذة وفائدة.

وقد ذيل الرسالة مصححها، بذكر الكتب والمؤلفات التي خصصت في الدخان أو تعرضت له، فذكر (٢٥) مؤلفاً، وفاته شيء كثير كما يظهر بالتتبع، وفي الرسالة بحوث أخرى أشرنا إلى بعضها في غير هذا الموضع.

فهذا ونحوه بعض مما قاله وكتبه الأطباء المعتبرون حول هذه الشجرة، ولا شك أنهم المرجع في هذه الباب، وأن لهم من التجربة والنظر في الأمراض، والعلل، وأسبابها، ما تميزوا به، هذا وإنك تعجب للكثير من المدخنين الذين يتقيدون بإرشادات الأطباء، ويرجعون إليهم في كل ما يلم بهم، ويحتمون بأمرهم عن الكثير من الأغذية المباحة، ولكنهم يقرؤون ويسمعون أقوالهم، وإرشاداتهم ونصائحهم المتتابعة عن التدخين، ثم لا يتأثرون بها، ولا يعيرونها التفاتاً، بل يبقون على هذه العادة الدنيئة، التي تمكنت من نفوسهم الضعيفة، وإرادتهم المهزومة.

---

(١) المرجع المذكور ص ٢٢.

(٢) نفس المصدر ص ٤١.

(٣) المصدر السابق ص ٦٦.

(٤) نفس المصدر ص ٨٥.

هذا وقد يقول قائل: إن الأطباء أو أغلبهم يدخنون، بل منهم من يسرف في التدخين، فكيف لم يقلعوا عنه، مع علمهم بأضراره وآثاره السيئة؟.

فيقال: (أولاً) هذا هو الواقع وهو أكبر المصائب، فإن تقليد العامة لأفعال الأطباء، قد يفوق اتباعهم لأقوالهم، ولكن البصير العارف يتقبل الحق، ويعمل به متى عثر عليه، بقطع النظر عن قائله وناقله.

(ثانياً) أن المدخنين منهم وقعوا في هذه العادة الضارة في حال الصبا والسفه والجهل، وبعد أن انتبهوا ضعفت نفوسهم أن يقلعوا عنها، بعد أن تمكنت منهم، مع اعترافهم بالخطأ، واقتحام الضرر.

(ثالثاً) أن لديهم من المنعة، ومعهم من معرفة ما يضاد تلك السموم والأضرار، أو يخفف شرها، ما لا يتيسر غالباً لسواهم.

(رابعاً) أن الكثير منهم كما هو مشاهد بعد أن أدركوا أثر الدخان، وما ينتج عنه، فطموا أنفسهم عنه، وتغلبوا على تلك العادة المتحكمة فيهم، وأقلعوا عنه إقلاعاً كلياً، وانتصروا على شهواتهم الدنيئة، ولما سئل الدكتور دانيال هـ. كرس عن ذلك، أجاب بقوله: إن الأطباء بشر لا آلهة، ولا شك أنهم يعتادون التدخين في عهد الصبا، فتتمكن تلك العادة من نفوسهم، ويصعب عليهم الإفلات من أسرها، واعلموا أنهم لا يمتازون عن غيرهم بأية قوة تمكنهم من التغلب على سلطانها... الخ[1].

ويجيب الطبيب (فانديك) مفيد العلوم الطبية في بيروت عن نفسه بقوله: لا جواب عندي إلا (إن النفس لأمارة بالسوء)، وكنت في أيام الشبيبة أدخن، فوجدت من ذلك أضراراً، فتركته تركاً تاماً، ولما استولى علي ضعف البصر، فدفعاً

---

(١) الدخينة في نظر طبيب ص ٧٦.

للزعل، وتسلية للفكر نوعاً ما، صرت أدخن نفس تنباك بعد العشاء، وآخر قبيل النوم، تخديراً للدماغ... وكثيراً ما أبطل هذه العادة شهوراً متتابعة... الخ[١].

وقد يقال أيضاً: فلماذا لم يقع شيء مما ذكر بأغلب المدخنين، فهاهم قد عمروا طويلاً، متمتعين بتمام الصحة، والقوة في الأبدان، والحواس؟

والجواب: إن من آفات الدخان، أن آثاره السيئة تكمن في البواطن، ولا تظهر على أهله بسرعة، كما قال بعضهم عنه أنه: انتحار بطيء.

وسماه الدكتور صبري القباني (القاتل المهذب)، وقال بعد أن سرد أضراره كما سبق: قد يخيل إلى بعضهم أننا نبالغ أو نغالي في ذكر مضار التدخين، وقد تمر بالخواطر صور بعض مشاهير الرجال في العالم، واللفافة لا تفارق أفواههم، ولكن وجود أمثال هؤلاء المدخنين الأصحاء لا يدحض ما ذكرناه، إذ أن اعتياد فقراء الهنود على بلع كميات كبيرة من السموم، واعتياد (راسبوتين) على تناول السموم بكثرة -كما ذكر التاريخ- لا يعني أن السم غير قاتل، وأن باستطاعة كل إنسان مجاراة هؤلاء في عملهم[٢].

ويجيب الدكتور دانيال هـ. كرس، بما نقله عن (لونر برينك) بقوله: وما أكثر ما كنتم تعرفونه عن التبغ، لو أنه كتب على ضريح كل واحد من صرعاه هذا قتيل التبغ... يحدث ما هو أنكى من القتل، إن التبغ يميت ضحاياه موتاً بطيئاً جاهداً ونحن نجدهم مدفونين تحت أطباق الثرى... إلى آخر مقاله البليغ في معناه[٣].

ونقل الدكتور صالح المنصور، عن الدكتور خالد منيمنة قوله في محاضرة حول الدخان: لماذا لا يموت المدخنون بسرعة؟ إن المدخنين جميعاً لابد لهم من الموت

---

(١) تحفة البيان ص ٢٠.

(٢) طبيبك معك ٢/ ٥٣.

(٣) الدخينة في نظر طبيب ص ٨، ١٦.



العاجل، لولا أن أجزاء من السم تحترق في أثناء التدخين، ولكن السم لا يحترق كله، ومع مرور الوقت يعتاد الجسم على هذا السم... ومع أن الجسم قد يعتاد على شيء ضار، إلا أن ذلك لا يمكن أن يؤخذ دليلاً على أنه لا يؤذي[1].

هذا ومن المشاهد أن أغلب المدخنين تتمكن فيهم أنواع من الأمراض، فلا تتقبل أبدانهم العلاج، بل ويتوقف الأطباء عن مداواتهم، وبعد أن يقلعوا عن التدخين، تؤثر فيهم الأدوية، وتعود إليهم صحتهم وقوتهم بإذن الله تعالى.

خامساً: من آثار التبغ على الأبدان والحيوان

لما كانت الأمراض الناشئة عن التدخين في الغالب باطنة خفية التأثير على المدخن، لاجرم لم تكف في زجر أغلب النفوس البهيمية عن استعماله والتوغل فيه، ولكن الدخان أيضا له آثار سيئة ظاهرة على الأبدان لا تنكر.

يقول علي فكري في كتابه (الأمراض الاجتماعية): وقد حدثت حوادث من التبغ، لا تدع مجالاً للشك في أن المدخن يعرض نفسه للخطر والتلف، وأن السيجارة التي يمسكها بين أصبعيه، أقل ما تستحق أن يرميها ويدوسها بقدميه، فمن الحوادث المؤلمة أن بعض أصدقاء الشاعر (سانتولي) اللاتيني المتوفى سنة (١٦٦٧م)، ألقى في كأس النبيذ تبغاً، فلما شربه الشاعر أحدث له آلاماً لا توصف، ثم فارق الحياة صريع هذا السم الزعاف، وشوهد رجال وقعوا في التخدير، وماتوا على تلك الحال، لإفراطهم في استنشاق دخان كثيف من التبغ.

ومات ثلاثة أطفال بعد تكبد آلام لا تطاق، بسبب امرأة دجالة دهنت رؤوسهم بمنقوع التبغ زعماً منها أنه يزيل عنهم قشور الرأس، وقد شوهد أن المشتغلين في مصانع الدخان، كثيراً ما يشكون في بدء شغلهم من صداع، وغثيان (إغماء)، وفقد

---

(١) الدخان في نظر الإسلام ص ١١.



شهوة الطعام، وأرق، وأنهم لا يعمرون، بل يصاب أكثرهم بالداء الخنازيري، وفقر الدم، والسل الرئوي.

وشوهد أن مهرياً حاول أن يهرب تبغاً مقداراً منه حول جسده، فمات بعدما ذاق آلاماً شديدة. وقد جرب دخانه منقوعاً في أمعاء بعض الحيوانات، أو بوضعه على بثور في جلدها فهلكت.

وسكان أفريقية يستعملون الزيت المستخرج من التبغ لقتل الحشرات المؤذية، كالأفاعي، أما العصافير، والضفادع، والحيوانات الصغيرة، فتموت عندما تستنشق دخان التبغ، في مكان خال من الهواء[(١)].

ووقع أن أخوين تراهنا أيهما يدخن أكثر، فمات أحدهما قبل السيجارة السابعة عشر، ومات الثاني قبل أن يكمل الثامنة عشر[(٢)].

ويقول الشيخ حمد عبد الرحمن حمد الله رحمه الله في ذم الدخان:

وترى الهوام إذا أحس بريحه ... ترك المكان وفر من أوكاره

والنحل لا تلوي إليه لخبثه ... أبداً ولا تدنو إلى أزهاره

ولنتنه ولقبحه في طعمه ... لم تدن سائمة إلى أشجاره

فهذا الشاعر قد شاهد شجر التبغ، ورأى زرعه، فذكر من عجائبه أن من دواب الأرض من الحشرات والطيور، متى ألقي في أوكارها أو وكناتها هربت منه، وتركت أماكنها، وهكذا النحل لا ينزل على أشجاره، ولا يأكل من أزهاره، والبهائم والسوائم التي تتقوت بالنبات لا تقرب من أشجاره؛ لخبث رائحته، فضلاً عن طعمه، ولكن المدخنين عافاهم الله صاروا أضعف نفوساً من هذه البهائم والحشرات.

---

(١) الدخان في نظر الإسلام ص ٧، ٨.

(٢) فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في الدخان ص ١٢.



سادساً: ضرر الدخان على جلساء المدخن

لا شك أن الدخان بطبعه ينتشر في الهواء ويتفرق في الأجواء، حتى تتغير به رائحة البقعة التي بها المدخن، فيصل ضرره إلى جلسائه وزملائه ورفقائه، سواء كانوا في بيت، أو مكتب، أو غرفة، أو مطعم، أو مركب... الخ.

حيث يستنشق أحدهم ذلك الهواء المتلوث بنتن الدخان، والمتأثر بسمومه، وقد لا يكون بعضهم مدخناً أصلاً، ولكنه في تلك الحال يمارس أخطر أنواع التدخين، إذ يصله النيكوتين مع هواء النفس، إلى داخل الرئة.

وإليك بعض ما قاله الدكتور (دانيال هـ. كرس)، تحت عنوان (حقوق غير المدخنين)، حيث قال: يجب أن يتعلم المدخنون مراعاة حقوق غير المدخنين، فلماذا يرغمون على استنشاق الدخان المفعم بالنيكوتين، وهل هناك عذر يبرر للمدخنين الاستيلاء على كل فضاء في الوجود ليلوثوه بدخانهم. إنه يحق لغيرهم أن يتمتع بهواء نظيف نقي غير ملوث بالدخان الذي ينفثونه، لماذا لا يتعمدون على الأقل إلى التدخين حيث لا يتسرب دخانهم إلى الجمهور، ولماذا لا يتفادون نشره، بنوع خاص في الأماكن العمومية والمطاعم، والمركبات ومعدات النقل... الخ.

أوليس من حق كل مخلوق أن ينعم بالهواء الطلق النقي ؟ أجل بل لا يسوغ لأحد أن يفسد الهواء بأبخرة الأفيون أو أبخرة التبغ، وإذا كان لا يحل لمتعاطي المضغة أن يبصق في الماء الذي يشربه الآخرون، فإنه لا يجوز للمدخن أن يفسد الهواء الذي يتنسمونه، وإن البلديات تسهر دائماً على نظافة المياه، فلماذا لا تشمل الهواء بمثل هذه الرعاية والسهر؟

قال (جون بوروز) وهو من العلماء الطبيعيين: ولا شك عندي في أن المدخن مقلق للراحة حيثما حل، فهو يسمم الهواء، حين يدخن في الأحياء، والطرقات،



ويلوث العربات والفنادق بأبخرته الكريهة، وأرى أنه يجب أن يرغم على اعتزال الناس، والاختلاء في كهف، أوجب تحت الأرض، حيث يستطيع أن يشبع نهمه بذلك العشب السام، وإني أقول بملء الأسف: إن عادة التدخين تهد صحة عشرات الآلاف من زهرة فتياننا [(١)].

فهذا كلام هؤلاء العلماء والأطباء، والمفكرين، فهل يعقل هؤلاء المدخنون فيْرعون حرمة آبائهم، وأبنائهم، وإخوانهم المسلمين ؟ لعل ذلك يكون.

سابعاً: أثر الدخان على الحياة المدرسية

تكرر أن للتدخين الأثر الفعال في إضعاف القلب، والقوى الباطنة، وأنه يورث البلاهة، والبلادة وضعف الذاكرة، وقد شوهد هذا عياناً، فدلت الإحصائيات بأن درجة النجاح في الامتحان عند غير المدخنين، تفوق بنسبة ٣٩- ٢١٪ درجات المدخنين، بالرغم من أن درجة تفوقهم بالاجتهاد ضئيلة جداً، مما يدل على أن التفاوت الكبير في نسبة النجاح لا يعود إلى مستوى الاجتهاد بل إلى انحطاط القوى الذهنية عند المدخنين[(٢)].

يقول الدكتور خالد منيمنة في محاضرة له حول التدخين: وقد اتضح أن الذين يدخنون يكونون بطيئي الفهم، وفي المدارس والكليات والمعاهد التي تجمع المدخنين وغير المدخنين، اتضح أن الدرجات العلمية التي يحرزها المدخنون، تقل ٢٠٪ عن الدرجات التي يحرزها غير المدخنين[(٣)].

ويقول الطبيب الذي فحص التقارير المقدمة من أفواج جامعة (هارفرد) في مدى الخمسين سنة الأخيرة: إنه لم يستطع طالب من الطلبة المدخنين أن يكون في رأس

---

(١) الدخينة في نظر طبيب ص ٧١.

(٢) كيف تبطل التدخين ص ٨٨.

(٣) الدخان في نظر الإسلام ص ١٣.

فوجه، مع أن خمسة أسداس الطلبة يدخنون، والتبغ من أعظم الآفات التي تهدد الذكاء، والفطنة، والقوى العقلية، فيجعل ذهن الشاب كليلاً، ويفقده القدرة على الدرس، والتحصيل، والانتباه، وحصر الفكر وتركيزه، كما أنه يسلبه الإرادة والطموح والتفوق على أقرانه[1].

وقد ظهر هذا للعيان، فإننا نعرف الطالب قوياً صادق الرغبة، مجداً مثابراً على الطلب، حتى يقع في هذا الداء الدوي، فيفتر عزمه، وتضعف قواه، ونفقد منه ما كان من أبرز صفاته، من الذكاء، والحرص، وشدة الإقبال، وصدق الرغبة، ولا قوة إلا بالله.

ثامناً: تأثيره على الحياة الرياضية

لقد تمكنت الرياضة في هذه الأزمنة وأولع بها الكثير، وصارت هجيراهم وديدنهم، ومن المؤكد أن الألعاب الرياضية تتوقف على قوة البدن ونماء الفهم... الخ. ولما كان التدخين كما سبق يؤثر على الرئة، ويضيق النفس، وينهك الأبدان، ويبلد الأذهان، فيشق أو يتعذر على المدخنين موالاة السعي الشديد، فهو بقطع أدنى مسافة يحفزه النفس، ويخر صريعاً، كما يضيق نفسه عند حمل الشيء الثقيل، أو الصعود في سلم رفيع، فلا جرم بالغ المدربون في الألعاب الرياضية في التحذير منه، والنهي الأكيد عن قربه.

قال الدكتور (دانيال هـ. كرس)[2]: ونحن حين نستفسر من أقطاب الرياضيين، وكبار المحترفين، عن رأيهم في التبغ والدخينة، نراهم يجزمون بما يعتقدونه من نتائجهما المهلكة، ويقولون إنه لا يمكن للتبغ أن يمتزج بحياة الرياضيين،

---

(١) الدخينة في نظر طبيب ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق ص ٤٥.

ويؤكدون لنا أن مدربيهم ومعلميهم لا يسمحون لهم بالتدخين مطلقاً، بل يأمرونهم بأن لا يمسوه، ويقولون: إنهم يعودون بالخسران متى عصوا هذه الأوامر... الخ.

وفي محاضرة الدكتور خالد منيمنة عن الدخان: والمدخنون يكون نفسهم دائماً قصيراً، وهذا هو السبب العظيم الذي يدعو هواة الألعاب الرياضية إلى اجتناب التبغ[١].

وقد شوهد تفوق الرياضيين من غير المدخنين، على المدخنين، في جميع أنواع الألعاب الرياضية، وكفى بذلك منقصة ومذمة.

تاسعاً: الدخان من الخبائث

لا يتوقف أي عاقل منصف، أن هذا الشراب من أخبث الخبائث، وأنه أولى بوصف الخبث من غيره من الخبائث، فقد اجتمع فيه خبث الرائحة ونتنها، وخبث الطعم، وكونه في منتهى المرارة، حتى ذكر بعضهم أنه لو خمر في ماء، ثم شرب منه المدخن، لقاء كل ما في جوفه، حتى ليحس بانجذاب أمعائه، ولكره التبغ، وكره استعماله كلياً، لما له من مرارة الذوق، وخبث الرائحة واللون، كما أن أثره على مدمنية أشد، مع تعدي أذاه إلى الغير، ممن شمه أو قرب من ذويه، واشتقاق اسم التتن من النتن فهو منتن خبيث الرائحة، ولقد صدق من قال فيه:

بئس الشراب التنباك، ينتن الفاه، ويخلي المخباه، لا في أوله بسم الله، ولا في آخره الحمد لله[٢]:

---

(١) الدخان في نظر الإسلام ص ١٢.

(٢) إدخال التعديل ص ٦.

ومن أدلة خبثه، وكون النفوس الزكية تمجه، وتنفر عنه وعن أهله تنزيه المساجد عن شربه، وكذا حلقات العلم، ومجالس أهل الشرف، وعزة النفس، فمتى رآه الناس في شيء من الأماكن الشريفة أنكروه، وصاحوا بصاحبه من كل جانب، ما لم يتغلب الفساد، وينتشر شربه في أغلب البلاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم الغالب على المبتلين به إلف الأماكن القذرة، ومواضع القمامات والأنتان، وأنسهم بها، ولعل السبب أن ملائكة الله قد تأذت من نتن أفواههم، وابتعدت عنهم، ولما كانت الشياطين تألف الأقذار والأنتان، لما في الحديث: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ»[1]، إن الحشوش مأوى الشياطين، فلا جرم اقترنت بهم، واستولت عليهم، وقادتهم لما تريد.

وقد حكى الدباغ في الإبريز، أن ثمانية من أولياء الله دخلوا بلدة متعفنة، فلما توسطوها خرجوا منها مسرعين، ولعل ذلك أن الملائكة التي معهم نفرت من الروائح الكريهة، فنفر أولياء الله لنفور الملائكة.

وقد يتعجب البعض من هذا القول، لما يرى من إكباب الجماهير عليه، وتولع الجم الغفير به، وكيف لم يقلعوا عنه ما دام هذا وصفه، بل منهم من استلذه واستحلاه، واستطابه واستمرأه، ومنهم المستمر في شربه مع الاعتراف ببشاعته وقبحه، ولكن لا داعي للعجب فإن المنصفين منهم يقرون على أنفسهم بالخطأ، ويتمنون التخلص، ويصفونه بالشين والبشاعة والبعد عن كل الخير، أما الذين

---

(١) أخرجه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣)، وأحمد (٤/ ٣٦٩)، وابن حبان (٢/ ٢٥٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه

يمدحونه ويستحلونه، فالغالب عليهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ومنهم من لا يحب توجيه الذم والعيب إليه، فيريد بمدح الدخان تبرير فعله، أو إبداء عذره، ثم إذا قدر أن هناك قسم يلتذون به ويصفونه بالطيب واللذة، فلا عبرة بأولئك فهم من ذوي النفوس الدنيئة السافلة، التي اتسخت وتلطخت بقبحه ونتنه، وألفته حتى صار لها طبعا وديدنا، قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾[النور: من الآية:٢٦] وذلك أن كل ذي طبع خبيث يؤثر الخبائث ويحبها، فمثل هؤلاء كمثل الجلالة من البهائم، وهي التي تأكل العذرة وتستحيلها، وكمثل الجعل من الحشرات، وهو الذي يدهده الخرء بأنفه، ويحيا في بيوت الخلاء، ومواضع قضاء الحاجة، فيستطيب رجيع الآدميين، ويستلذ طعمه ورائحته، وفي نفس الوقت يتأذى من الطيب، ويموت من رائحة المسك، ثم إن آثار خبثه وقبحه ترى على أربابه بعد التأمل، فوجوههم كالحة، وأبدانهم مغيرة، وروائحهم منتنة، ونحب أن نورد بعض ما قاله العارفون به نظماً، مما يدل على استقرار خبثه في الفطر والعقول، فمن ذلك ما قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في منظومته التي سماها نصيحة الإخوان وتأييدها في ذم القات والشمة والدخان.

كذاك معشوقة الشيطان قد نصبت ... بها فخاخ لأرباب الجهالات

وفي المساجد عمداً هم لها نصبوا ... تظاهراً ما لديهم من مبالاة

تالله ما جمرت بالطيب منذ بنيت ... إلا بخارهموا بالتتن والقات

آذيتموا ساكني الأرض فاحتملوا ... فما أذاكم لأملاك السموات

كذا الدخان بأنواع له كثرت ... وغير ذلك من نوع الدنيئات

داء عضال ووهن في القوى وله ... ريح كريه مخل بالمروءات

سألتهم أحلال ذا الشراب لكم — من طيبات أحلت بالدلالات

أنافع أم مضر بينوه لنا — قالوا مضر يقيناً لا مماراة

ثم قال في تأييدها راداً على بعض من أباح الدخان:

وقلت بعد مديح القات منصرفاً — أما الدخان فمتن جنس المباحات

أبخث داءً وتبذيراً ومعصية — وسفلة وانغماساً في الدناءات

يشوي الوجوه وتسود الشفاه به — وفي المساجد مؤذ للجماعات

مع ما ذكرنا من التحذير فيه ومن — تفتير جسم ومحق للطبيعات

إلى آخر نظمه رحمه الله تعالى.

وقال العدساني أحد المشهورين بالكويت ناصحاً لابن ابنه عن شرب الدخان، وقد تلقيتها سماعاً من بعض العلماء الحفاظ:

ياشارب التنباك ما أجراكا — من ذا الذي في شربه أفتاكا

أتظن أن شرابه مستعذب — أم هل تظن أن فيه غذاكا

هل فيه نفع ظاهر لك يا فتى — كلا فما فيه سوى أذاكا

ومضرة تبدو وقبح روائح — مكروهة تؤذي به جلساكا

وفتور جسم وارتخاء مفاصل — مع ضيق أنفاس وضعف قواكا

أو حرق مال لم نجد عوضاً له — إلا دخاناً قد حشا أحشاكا

آثرته وتركت جهلاً غيره — تباً لمن قد آثر التنباكا

ورضيت فيه بأن تكون مبذراً — وأخو المبذر لم يكن يخفاكا

يكفيك ذماً فيه أن جميع من — قد كان يشربه يود فكاكا

وللشيخ حمد عبد الرحمن حمد الله في آثار الدخان ورذائله :

كم في الدخان معائب ومكاره | دلت رذائله على إنكاره
سأريك بعضاً من معائب شره | فاسمع كلامي تسلمن من عاره
يؤذي الكرام الكاتبين بريحه | وأمام وجهك شعلة من ناره
طعم خبيث ثم ريح منتن | عند الفتى أعز من ديناره
عمت بليته البرية كلها | حتى الفقير يلين مع إعساره
فإن انتهيت وما أظنك تنتهي | ورغبت عنه نجوت من أوعاره
وأرحت نفسك من عنا تحصيله | وحفظت مالك من مصاب بواره
كيف السلو وقد أصابك سهمه | متمكناً وغمست في تياره
إن غاب عنك سويعة لم تستطع | وتود بذل الروح في إحضاره
ويصاب عقلك بالجنون وبالخبا | ل بفقده وتفيق باستشعاره
لو كان معدوماً ويوجد في لظى | لرغبتها كيما ترى بجواره
كم من نقود يا فتى وملابس | أتلفتها بشرائه وشراره ؟
ويغير غش لا يباع لواحد | بالخلط أو بالبخس من معياره
لا يشترى أبداً بلا غش وقد | يمزجه بائعه بروث حماره
إن قلت من أجل التداوي شربه | بقراط لم يذكره في أسفاره
أو قلت من شيم الأكابر شربه | ها أنت والأوباش في مضماره
وتراه أقبح ما يرى في شائب | قد شاب حسن مشيبه بغباره
وترى الذي في شربه متولهاً | يلتذ في المرحاض باستكثاره

إن خالط المأكول منه دريهم ... غلبت خباثته على قنطاره

إلى آخر النظم المذكور في بيان خطر المخدرات ص ٢٥.

وللشيخ محمد البيروتي رحمه الله كما في الجواب الحسن.

إياك من بدع تلقيك في محن ... لاسيما ما فشا في الناس من تتن

تباً لشاربه كيف المقام على ... ماريحه يشبه السرجين في العطن

يفتر الجسم لا نفع به أبدا ... بل يورث الضر والأسقام في البدن

ولا يغرك من في الناس يشربه ... الناس في غفلة عن واضح السنن

يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

عاشراً: التدخين سفه ودناءة

يشاهد أن المدخنين غالباً يعدون فعلهم منقبة وترفاً وترفهاً، فترى أحدهم يشعل سيجارته، وهو في غاية الزهو، والإعجاب بنفسه، بل يتوهم أن ذلك أفضل خصال الحضارة والتمدن، ولذلك يحي أصدقاءه عند التلاقي بتقديم السجائر، ويكرم ضيوفه بتوفير آلات التدخين، وما يرفههم عند التدخين، وإذا لم يفعل اعتبر مخلاً بحقوق أصدقائه وزواره، وترى أهل الدخان متى أقبل عليهم المدخن، أو مر بهم وهم جلوس، انتصبوا قياماً تعظيماً له وتوقيراً، وحيوه بتحيتهم وإن كان مجهولاً أو جافياً أو أمياً، وهم في نفس الوقت يحتقرون المتدين الزاهد في فعلهم، فإذا مر بهم وبيده سواك أو عصا أو نحو ذلك، فلا تسأل عن ضحكهم، وتمايلهم، واستنقاصهم لعقله وفكره، ولكن من أمعن النظر، وتأمل بعين البصيرة تحقق أن التدخين هو عين السفه والخبال، وضعف الرأي وسوء التدبير، وأنه سيما أهل الذل والهوان، والنذالة، والرذالة، وصاحبه أولى بالإهانة والاحتقار والازدراء وسقوط القدر عند

ذوي المروءة وأهل الرجولة والشهامة والهمم العالية، فحقه التأخير والإبعاد عن الأماكن الشريفة، والمجالس الرفيعة، وبالتتبع يندر أن يتسخ بأوضاره رجل ذو حسب وشرف، وصدق ووفاء، إلا وتتغير هذه الأوصاف بأضدادها كما يجره الوقوع فيه إلى معاشرة الأنذال وأهل الصفات الدنيئة، وسفاسف الأخلاق، وقد كان يأنف من قربهم قبل ذلك.

وأعجب من ذلك أنك ترى المدخن يحرص على نظافة الظاهر، فيدلك جلده يومياً بالصابون ونحوه، ويحرص على تنظيف ملابسه، وفرشه، ومركبه، ومجلسه، ويأنف عن أدنى وسخ في ذلك، وهو في نفس الوقت يحشو باطنه بهذا الداء الدوي الخبيث المنتن، ولا يأنف من رائحته، ومن تلويث باطنه به، رغم سواده القاتم، فما أحق هؤلاء بقول القائل :

عمروا ظواهرهم بأثواب النقا   وحشوا بواطنهم من الأدغال

وهكذا ترى أحدهم يأنف عن لبس ثوب غيره، أو التنشف بمنديل شخص آخر، أو منشفته، ولا يأكل سؤر غيره، ولا يشرب في فنجان، أو إناء، شرب فيه سواه قبل غسله، ومع ذلك لا يتحاشي أكثرهم في الدخان عن شيء من ذلك، فيشاهد أحدهم في بعض الأحيان يمتص السيجارة ثم يتناولها الثاني ليمتص منها نفساً، ثم الثالث، وهكذا، ويفعلون كذلك في امتصاص النارجيلة، لا يأنف من امتصاصها وعليها لعاب الأول، أو الثاني فأي خسة ودناءة وهوانٍ أعظم وأقبح من هذا.

الحادي عشر: مفاسده الخلقية والاجتماعية

إن الواقع يشهد أن المنهمكين في التدخين يسرع إليهم فساد الأخلاق وانهيارها وتحطم الهمم العلية وانحطاطها.



وقد يكون المبتلى به يعول ذرية وأهلين، فيقتر عليهم لتأمين دخانه، فيضطرون إلى السرقة أو النهب، أو بذل العرض في سبيل تحصيل قوت أو نحوه.

ونقل الدكتور (دانيال هـ. كرس) عن الرئيس (هوفر) قوله: إننا معشر الأمريكيين مقصرون في القيام بالواجب لفلذات أكبادنا، وليس في الوجود عامل هدام لصحة أولادنا كالدخينة، ويكاد يكون كل صبي ممن عكفوا على تناولها مذنباً... ولفائف التبغ هي مصدر الإجرام، ومستقر الآثام... الخ[١].

وقال الدكتور: وهؤلاء الفتيان، هم الذين نجدهم في محاكمنا الخاصة بالأحداث، وفي سجوننا، وكلما قرأت نبأ جريمة سافلة، اقترفها نذل جبان، وجدت أنه من مدمني التدخين، سر معي إلى أية محكمة من محاكم الأحداث، وسل القاضي عن النسبة المئوية للفتيان المدخنين، بين مجموع أحداث المجرمين، يخبرك أنهم يكادون كلهم من المستعبدين للتدخين[٢].

ونقل أيضاً عن بعض الأطباء قوله: إن الشخص الذي يقع في أسر التدخين، ينحط ويتدهور، ويصير عديم الشهامة والرجولة لا يصلح إلا للوجود في أحد السجون، أو أحد مستشفيات المجاذيب[٣].

وقد أطال الدكتور في هذا الباب، وأورد نقولاً ووقائع لا تدع مجالاً للشك في سوء عواقب التدخين فلتراجع.

ثم هو كذلك يصير سبباً قوياً في التفرقة بين الأب وأولاده، وبين الإخوة والأقارب، فإن المدخن ممقوت مبغض، حتى عند أقرب قريب، فهو لذلك يفر من

---

(١) الدخينة في نظر طبيب ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق ص ٥٨.

(٣) نفس المصدر ص ٦٠.

أهله، ويمقتهم ويمقتونه، فتحصل البغضاء والشنآن، والتقاطع، واختلاف الكلمة، وبذلك تتحطم الأسر، وتتفرق الآراء، ويكثر النزاع والخصام، وصاحبه أيضاً يهرب حتى من المساجد، فلا يصلي مع الجماعة غالباً، والواقع أكبر دليل على ذلك والله المستعان.

الثاني عشر: مجالس أهل التدخين

يعترف المدخنون بقبح فعلهم، ونتن دخانهم، وتعدي ذلك النتن، وانصباغه في أبدانهم، وثيابهم، لأجل ذلك يعتزلون مجالس الخير وأهله، ويحبون الانفراد غالباً في مقاهي، ومطاعم، ومجتمعات خاصة، يتمكنون فيها من إرواء غليلهم، وتناول مشتهاهم القبيح، فترى تلك المجالس عبقة بذلك النتن والآثار المتعفنة، فهم دائماً ينفرون من مجالس الخير، وحلقات العلم والذكر، التي يغشاها أهل الصلاح والإصلاح، ومتى جلسوا بها اعتبروا ذلك المجلس سجناً ضيقاً، وحبساً منيعاً، حيث لا يجرؤون فيه على إشعال سجائرهم، وتناول مشتهياتهم، وما تميل إليه طباعهم، خجلاً أو خوفاً ممن له هيبة واحترام، فلذلك يغتم أحدهم لطول المجلس، ويفضلون الانفراد لوحدهم، فمتى خلوا واختصوا بمجلس، فلا تسأل عما يحدث لهم من لذة وانبساط وقهقهة، ولا تسأل عن نتن ذلك المجلس وقبحه، وما يقال فيه ويفعل، ولا شك أن مجموع ذلك يكسب القلب قسوة وبغضاً للطاعة، واستثقالاً للعبادة وأهلها، وإلفاً للذنوب والمعاصي، ونفرة عن الخير وأهله، فينتزع منهم نور الدين والعلم، ويعمهم الظلام المعنوي، وتنفر منهم ملائكة الرحمن، وتحدق بهم الشياطين، فيبقى الإيمان في قلوبهم مزعزعاً ضعيفاً، يمثل بسراج ضعيف النور أتته الرياح من كل جهة، فهي تميله من جهة إلى جهة، حتى تتخيله قد انطفأ واضمحل، ولهذا كانت المعاصي بريد الكفر، نعوذ بالله من الخذلان.

الثالث عشر: تمكنه من أهله وآثار ذلك

من آفات هذا الوباء الوبيل تمكنه ممن ابتلي به، ووقع في شباكه، بحيث تتعلق به نفسه، وتندفع نحوه، فيصبح أسيراً تحت قيوده وأكباله، فعندما يفقده تضيق به الأرض بما رحبت، ويذهب يمنة ويسرة كالمشدوه المغلوب على عقله، وعندما يعثر عليه، يلقي بنفسه إليه، ويبذل في سبيل تحصيله ولو كل ما لديه، وكثيراً ما يتحكم فيه باعته، فيسلبونه نقوده وممتلكاته، وربما أسقط قدر نفسه إن لم يجد له عوضاً مالياً، فيمد يد الاستجداء، ويسأل بدناءة نفس، وبغاية من الاستضعاف والهوان، حتى ولو كان شريفاً أو رئيساً أو حسيباً أو نسيباً أو ذا مكانة مرموقة عند الناس، وكثيراً ما يستجدي أراذل الناس، وسوقتهم، وسقطهم، وما ذاك إلا لأنه يستعبد صاحبه، ويوثقه تحت سيطرة الذل والهوان، فكلما حاول فكاكاً بهمة ضعيفة، لم تقو نفسه، وأقعدته إرادته الضعيفة، وكثير من أهله يعترفون بخبثه ومضرته، وإذا نصحوا عنه قالوا: إنه فتنة وبلوى من الشيطان، بل قد يعترفون بتحريمه؛ لآثاره السيئة، ولكن الشيطان قد سول لهم أن لا فكاك لهم منه، وأن تركه من أمحل المحال، وربما أنهك أحدهم بالأمراض من جراء التدخين، دون أن يتركه، حيث يخيل إليه أن شربه يخفف عنه أو يفيده، أو أن تركه يؤلمه ويضره، وكثير من المدخنين يهم بتركه، ويلزم نفسه ذلك، وربما أقسم على ذلك الأيمان المغلظة، وقد يعلق على العودة إليه طلاق زوجته، أو الخروج من ماله؛ ليؤكد بذلك تركه نهائياً، ثم يغلبه الهوى، والنفس الأمارة بالسوء فيعود إليه، ويتناسى عهوده ومواثيقه، ولا يبالي بحنثه، أو طلاق نسائه، وبالجملة فله سلطان على عاشقيه، وتأثير بليغ على عقول أهله، فمن تمام العقل الابتعاد عنه، وعن أهله بادئ ذي بدء، حتى لا يقع في هذه الشبكة التي يصعب التخلص منها.

وغالباً أن الشخص إنما يقع فيه وهو في سن المراهقة، وقبل اكتماله العقل، وحصافة الرأي، والتفكر في العواقب السيئة، منخدعاً بكثرة أهله وبدعاياتهم، وإعلاناتهم، فيتأثر هذا اليافع الجاهل بأولئك، لا سيما إذا كانوا خلطاء وجلساء، حتى يقع في براثن هذا العدو الرهيب، فلا يستطيع التخلص منه، ثم بعد أن ينمو عقله، ويتم تفكيره، وبعد أن تنتابه وتتوالى عليه تلك الأعراض والأمراض آنفة الذكر، هنالك تتقطع نفسه حسرات، ويبقى طوال حياته يقاسي الآلام والأسقام، ويتعاطى أسبابها، ويتحسى هذا السم النقاع، مكرهاً مغلوباً على أمره، يغبط الأصحاء الأبرياء على راحة النفس، واستمراء الأطعمة، والالتذاذ بالراحة والنوم، دون ما يعكر عليهم صفو عيشهم، ولكن ماذا يفيده هذا التحسر والأسى، فهو الذي أوقع نفسه وألقى بيده إلى التهلكة[١].

الرابع عشر: إذهابه للأموال الطائلة

لقد انتبهت الدول الأخرى، وأبدت استياءها الشديد على الأموال العزيزة عند النفوس، والتي تحرق ضحية لهذا الوباء الوبيل، وقدروا ذلك بمبالغ باهظة، تدعو للعجب، وتبعث الأسف.

وقال الدكتور (دانيال هـ. كرس): لو كان المريخ مأهولاً كما يقولون، فأطل سكانه علينا، ورأوا تهالكنا في التدخين، لحكموا أن معبود أهل الأرض هو التبغ لا سواه، لأن كميات هائلة من أبخرته تحرق على مذبحه صباحاً وظهراً ومساءً، بلا انقطاع، ولأن أتباعه المخلصين ينفقون في سبيله الأموال المقنطرة على الولاء، ومهما تعظم المبالغ التي ننفقها سنوياً على مدارسنا الابتدائية، والثانوية، والعلمية، فإنها دون ما ننفقه على التبغ... ونحن ننفق على السجائر والمضغات مالا ننفق نصفه في سبيل الذب عن عروة الدين الصحيح.

---

(١) راجع رسالة (الدخنية) – ٦٠ – ٦٢، فلقد بالغ في هذا الباب.



هكذا تقول هذه الدول الكافرة، وهكذا تهتم لإتلاف الأموال الطائلة، وإحراقها قيمة لهذا التبغ، وما ينتج عنه، بالرغم من أنها تعمله وتنتجه بلادها ولا تستورده، بل إنها تحصل منه على أرباح طائلة، في إصدار كمية كبيرة إلى الخارج، فقد ذكر الشيخ الدكتور صالح المنصور أن رأس المال السنوي، الذي يعمل في مجال صناعة التبغ في أمريكا بلايين، أفلسنا أولى بالاهتمام منهم، بأن نحفظ الأموال الثمينة التي قد لا تحصل لبعض الأفراد إلا بعرق الجبين، وكد اليمين، ثم بعد التحصل عليها يحرق جزءًا منها، فيذهب هباءً منثوراً، فإن الواقع من المدخن الاهتمام بدخانه، أكثر من اهتمامه بالكسوة والطعام، فيخصص له قسطاً من دخله يومياً، أو شهرياً، وأحياناً يقتر على نفسه، أو من تلزمه مؤونتهم، فيعرضهم للجوع والعري، في سبيل تأمين الدخان، كما أنه قد يبذل فيه أضعاف قيمته، إذا قل واشتدت حاجته إليه، فهناك يتحكم فيه الباعة كيف شاؤا، وقد يستعمل في تحصيله أنواعاً من الحيل، والخداع والكذب، ولا شك أن ما يذهب على أفراد الشعب يمثل ثروات طائلة لو صرفت هذه المبالغ في أعمال خيرية كمساجد أو مصانع، يعود نفعها على العباد، أو دفعت إعانة لبعض الدول الإسلامية، لإقامة مشاريع خيرية، يستفاد منها، أو أنفقت في سبيل الدعوة إلى الله، وتقوية الإسلام والمسلمين، أليس ذلك أولى من إذهابها سبهللاً، ثم أين تذهب هذه الثروات العظيمة، يقول الشيخ الدكتور صالح المنصور: إنها تذهب لألد أعدائنا[١][٢].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧.

(٢) وقد نشر البنك الدولي دراسة بعنوان: (التكاليف الاقتصادية للتبغ وفوائد الاستثمار منه) وقد قدرت هذه الدراسة تكاليف الرعاية الصحية للمصابين بالأمراض الناجمة عن تعاطي التبغ بخسارة عالمية صافية مقدارها متتا مليّار دولار في السنة، نصف هذه الخسارة تتحملها الدول النامية). نقلا من كتاب (هل تريد أن تقلع عن التدخين) من إصدار الجمعية الخيرية لمكافحة التدخين ص ٢٥.

الخامس عشر: نوع آخر من خسائر الدخان

إن الأمر في التبغ لم يقف على إحراقه، وإذهاب ماليته، بل لابد من تسببه في أنواع من الأمراض البدنية، وعندما يصاب الفرد بأيها، يسعى في علاجها، وترخص عنده الأموال التي ينفقها في العلاج، وقد يكلف أهليه أو دولته مبالغ من المال، فأعظم المرضى الذين قد ملؤوا المستشفيات الداخلية، والخارجية، والعيادات، ونفقوا سوق الأدوية والعقاقير، والإبر والحبوب في الصيدليات، هم من المدخنين، الذين أنهكهم الدخان، وأوقع بهم من الأمراض ما كلفهم، وكلف غيرهم، فلو قدر ما تصرفه الدولة والشعب في علاجهم لبلغ ألوف الملايين، وإنما يستفيد من ذلك كله الأعداء، الذين رمونا بهذه السهام أولاً، ثم انتفعوا ثانياً، فاكتسحوا أموالنا، مقابل علاج وأدوية، وأجور ركاب، ونحو ذلك، وضروري أنهم حرب للإسلام والمسلمين، وحينئذ فأموالنا بأيدي أعدائنا، تستعمل في حربنا، وحرب إسلامنا، وفي تعزيز الأديان الكفرية، والتمكين لأهلها، أفلا نرعوي؟.

السادس عشر: نوع ثالث من مخلفات الدخان

لما كان استعمال الدخان يتوقف على إشعال نار لإحراقه، كان ولابد أن يبقى لتلك النار بقية، فإن المدخنين ليسوا على حد سواء في الانتباه والحذر، فكثيراً ما يلقي المدخن أعواد الكبريت، أو بقايا السجائر، وبها شيء من النار، فتقع على أوراق، أو أثاث، أو وقود، أو نحوه، مما يشتعل بها، فيحدث من جراء ذلك حرائق، قد تتضخم أحياناً، فيذهب ضحيتها مئات الألوف، أو الملايين من الأموال الثمينة، وربما تجاوزت المال إلى الأعداد من الأرواح البشرية البريئة، وقد انتبهت لذلك الدول الأخرى، فشركات التأمين في الولايات المتحدة، تقدر أن ثلث الحرائق بسبب التدخين، فهي تكلف المدخنين بدفع ضرائب، تقابل ثلث تكاليف تلك الحرائق[1].

---

(١) كيف تبطل التدخين ص ٢٠.



قال الدكتور (دانيال هـ. كرس): قد أثبت الإحصاء الدقيق أن الممتلكات التي يفنيها الحريق الناجم عن إهمال المدخنين، حينما يلقون أعقاب اللفائف، أو عيدان الثقاب، ما يساوي ١٠٪ من مجموع ما تخسره البلاد في الحريق، وهناك من يقول: إن المدخنين مسؤولون عما لا يقل عن ٢٠٪ من مجموع تلك الخسائر، ويستدل مما جاء في إحصاء السنوات الخمس الأخيرة على أن (٥٦٩٤) حادثة من حوادث الحريق التي شبت في هذه البلاد (أمريكا) تعزى إلى المدخنين...

وفي كل عام تذهب مئات الأرواح ضحية الحرائق، التي يسببها المدخنون[١].

وقد أطال في ذلك وأورد أمثلة، ونحن وغيرنا نتذكر مئات الوقائع من هذا النوع، أفلا يؤخذ على أيدي المدخنين، لتسلم الأموال والأرواح من شرهم واعتدائهم ؟ نأمل ذلك إن شاء الله.

---

(١) الدخينة في نظر طبيب ص ٥٥.

أسباب انتشار التدخين

لقد عظمت المصيبة بهذا الدخان، واستشرى شره، وانتشر في المدن، والقرى، والحاضر، والباد، وفتن به الصغير والكبير، والغني والفقير، والشريف والطريف، والعالم والجاهل، والذكر والأنثى، وعمت الفتنة به جميع الدول في الشرق والغرب، وفي كل مكان إلا ما شاء الله، ولقد كنا في هذه البلاد قبل سنوات نعده أمراً منكراً، وقل أن يشربه سوى سوقة الناس وسقطهم، ويشربونه بخفية وخوف، أما الآن فقد شربوه علناً وجهاراً، وابتلي به الكثير من الفضلاء، والمدراء، والأطباء، والمربين، والموجهين، ولعلنا أن نلم ببعض الأسباب التي لها دور في فشوه وتمكنه، رجاء الانتباه لها، والحيطة في أخذ الحذر منها في المستقبل.

أولاً: وسوسة الشيطان

لقد عرفت عداوة الشيطان الرجيم لنوع الإنسان منذ القدم، ولكن ليس في إمكان هذا العدو سوى الوسوسة والتسويل، ولما كان هذا الشراب الخبيث مفسداً للعقول، والأبدان، والدين، والدنيا، فلا جرم حرص الشيطان على ترويجه، وتزيين شربه، والنفقة فيه، وإخفاء ما يؤول إليه، ثم بعد أن يقع البعض فيه يسد عنهم باب التوبة، ويحول بينهم وبين المخرج، فيقيمون على استعماله، ظناً أن التخلي عنه شبه المستحيل.

ثانياً: دعاة الضلال

وقد يعجزه البعض، فلا يتأثرون بوساوسه وحيله الخفية، فيوحي إلى شياطين الإنس، ليجادلوا بالباطل، وليروجوا الضلال، ويلهمهم ما لهم من المصالح، في ذلك لكي يقوموا بدورهم لإشاعة هذا المنكر، وإظهاره في قالب الحق، فينشرون عنه ويدعون إليه، في الإذاعات، والصحف، والمجلات، وعلى ألسن الباعة

والسماسرة، وأهل البقالات، والتجار، والمروجين، ويدفعون الجوائز المغرية لمن أكثر بيعه أو شربه، وغرضهم الوحيد ترويج بضاعتهم المزجاة، وتكثير عملائهم والمستهلكين لتجارتهم، وخدع الجهلة، واقتناص الأموال، غير مهتمين بنفع الأمة أو ضررها، ولقد بلغوا مرامهم، وخدعوا بدعاياتهم من لا يحصى من الأمم والشعوب[1].

ثالثاً: دعايات المدخنين

لما كان من ابتلي به يستحيل في خياله تخلصه عنه، كان في الغالب يحب أن يشركه غيره فيما ابتلي به؛ لتخفف مصيبته بكثرة أهلها، فهذا الضرب يبذلون قصارى جهدهم في إيقاع الناس فيما وقعوا فيه لهذا المقصد ونحوه، وهناك ضرب آخر من المدخنين يضمه العمل مع رفقاء وزملاء لا يستعملون الدخان، بل ولا يقبلون رائحته، وذلك ما يهمه ويطيل تحسره واغتمامه، حيث لا يتمكن معهم وأمامهم من قضاء نهمته، فيسعى جهده في تحسين التدخين، وينفي ما يسمعونه من تحريمه أو أضراره، ويدعو من يأمل إجابته، ولا يزال يجادل، ويجتذب إليه من يحس منه ليناً، أو يظن به غرة وجهلاً، حتى ينزلق معه من استطاع إضلاله، فهناك تقر عينه، ويعظم ابتهاجه، ويتمكن من إعلان التدخين، ويتخلص ممن يمنعه أو ينتقده، ولا يزال هذان الضربان بالكثير حتى ينخدعوا بهم، فهم دائماً يرمون من لا يدخن بالبخل، والجشع، وإمساك المال، كما يصفون من يحرمه بأنه متشدد، ومتزمت، ومتسرع في الحكم، وقائل على الله بلا علم... الخ وبأمثال هذه الحيل الباطلة انخدع كثير من الناس.

---

(١) انظر كيف تبطل التدخين ص ٤١، فقد ذكر أنه انتشر سريعاً، واشترك في الحملة الدعائية له قسس، وأطباء، وحتى أمراء بعض المقاطعات.



رابعاً: إعلان الدخان بيعاً وتعاطياً

ولعل من أكبر الأسباب في تفشيه، أنه أعلن وأظهر شربه بلا نكير في الأسواق، والطرق، والمكاتب، والمدارس، والنوادي، والمؤسسات، والمتاجر وغيرها. وتبودل بيعاً وشراء، فاعتقد الجمهور إباحته أو على الأقل كراهته، ولا شك أن الجاهل والسفيه ينخدع بالكثرة، فيعتقد أو يترجح لديه، أن هؤلاء الأجناس مع كثرتهم أولى بالصواب من قليل الزهاد والمسنين وأهل المساجد، الذين لا يؤبه لهم في نظره فهو لذلك يقلد من ليس أهلاً للتقليد، ثم يعز عليه التخلص بعد الإفاقة والصحو، واكتمال النظر والفكر.

خامساً: المطاعم والمقاهي العامة

لا إشكال في أن أغلب المطاعم والمقاهي، التي في المدن والقرى والطرق، إنما يهم أصحابها جمع المال بأي وسيلة، والكثير منهم ليسوا من أهل الوطن المأمونين، ولهذا تكون تلك المقاهي مجمعاً لكل رذيل، ويختلط فيها الحابل بالنابل، وبكثرة تردد الأطفال والسفهاء إلى تلك الأماكن المنتنة الخائسة، يألفها أحدهم ولا يستفحش فعلهم، وقد يميل بعد ذلك إلى تقليدهم، مجاراة ومحاكاة لمن يراهم في أغلب الأوقات.

ويوجد بهذه المقاهي من أهلها وغيرهم أناس يهوون الفساد، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وقد شوهدوا يجمعون الأولاد، ممن في سن العاشرة أو دونهم، ويؤلفونهم في هذه المطاعم، ثم يطعمونهم أنواعاً من الطعام، ويقدمون لهم عدداً من السجائر مجاناً، يفعل أحدهم ذلك بالأعداد الكبيرة، ولهم وراء ذلك مآرب أخرى.

سادساً: الآباء والمربون

إن الطفل والمميز أحرص شيء على التقليد الفعلي لمن يقدره ويكبر عنده، فمن أكبر الخطأ تعاطي الآباء أو الإخوة مهنة التدخين أمام أطفالهم في المجالس، والدور، والمراكب، والنوادي، إذا كانوا يحبون لهم الخير، والنجاة من الضرر، فإن الطفل الغر السفيه يشاهد الفعل السيئ، طوال زمانه ويشم ريحه القذر، فيستعذبه مع مر الأيام، وفي النهاية غالباً يقع فيما وقعوا فيه، ولا يتأثر بنهيهم وتحذيرهم حيث لا يفهم السر في النهي، فيقتدي بالفعل دون القول، ومتى تعاطاه ولو خفية تمكن منه، فأصبح مدخناً كأبيه، أو أخيه، أو جليسه.

وهكذا يتأثر الطفل والجاهل بالمربي الروحي، وهو المعلم، والمدرب، فإن له من المكانة في نفس الطالب، ما يجعله يرمق أفعاله، ويحاكيه في سيرته، ويعتقده الأسوة الحسنة، بل يرى مخالفته حطاً من شأنه، وتنزيلاً من قدره، ورداً للحق الذي يسلكه، فمتى كان هذا المؤدب والمدرب، يتعاطى الدخان، فما أسرع سريانه إلى التلاميذ إلا ما شاء الله، وقد لفت ذلك وزارة التربية والتعليم، مما يجعلها تعمم بمنع تعاطيه أمام الطلاب، أو في المحيط المدرسي، ولكن ذلك التعميم وللأسف لم يطبق في كثير من المدارس والكليات، حيث إن بعض المدراء -هداهم الله- يكون أحدهم ممن ابتلي بالتدخين، فتحمله نفسه الضعيفة على إعلان شربه، ولا يقدر مع ذلك على منع المدرسين لديه عن شيء هو يتعاطاه، فيبقى التعميم في سلة المهملات، ويتغافل عن ملاحظة ذلك المفتشون والمواطنون، وكأنهم لا يعلمون بذلك.

وهناك مؤثر آخر أكبر وأشهر وأعم، وهو جهاز التلفاز، فهو على حالته الراهنة قد يعتبر من أكبر الدعاة لشرب الدخان؛ لما يعرض على شاشته من صور لشخصيات ذوي مكانة مرموقة، مع وصفهم بصفات التبجيل والتعظيم، فيمثلون وقد أشعلوا السجائر، ويظهر أحدهم وبيده سيجارته، يمتصها بين الفينة والأخرى،



في حال مقابلة أو مسرحية، أو إلقاء مقالة، أو إعلان، أو أو... ففي عرض صورة هذا الشخص الموسوم بالسيادة، أو المكانة الرفيعة، أو الرتبة الراقية، وهو على تلك الحال، أكبر داع للجهلة والسفهاء إلى تقليده، والوقوع في التدخين فلعلنا أن ننتبه.

نتيجة الحكم وأدلته النقلية

ولعلك أيها القارئ بتحكيم عقلك، وتفكيرك في شيء اتصف بالضرر على الدين، والبدن، والمال، وتعدي ضرره إلى الغير، وعدمت فيه المنفعة أصلاً، لا تتوقف في تحريمه، قبل أن تسمع النصوص النقلية، ولكننا لتقوية مدلول العقل، نحقق أن الشرع قد نص على التحريم إجمالاً وتفصيلاً، ولا شك أن الشرع هو الدليل القاطع، ومن لم يقتنع به خرج من الدين الإسلامي، وحل دمه وماله، فنقول: قد عرفت تأثيره على الدين، وصده عن الذكر والصلاة، فيلحق بالخمر والميسر، المنهي عنه لهذا السبب، ويدخل في جملة الفواحش المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأنعام: من الآية: ١٥١]، فإن الفاحشة اسم لما تستفحشه النفوس وتستقبحه، ويلحق أيضا بالخمر المنهي عنها؛ لثبوت إسكاره وتفتيره، وقد حرم الله الخمر، وعلق الفلاح على تجنبها بقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: من الآية: ٩٠]، وقد نص النبي ﷺ على أن «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ»، في خمسة أحاديث، أوردها الشيخ حمود التويجري رحمه الله، (عن ابن عمر رضي الله عنهما) عند أحمد[١] ومسلم[٢]، (وعن قيس بن سعد رضي الله عنه) في المسند[٣] (وعن عائشة رضي الله عنها) عند الدارقطني[٤] (وعن ابن عباس رضي الله عنهما) عند أبي داود[٥] (وعن النعمان رضي الله عنه) عند الدارقطني[٦]، وقد بلغت الأحاديث في تحريم الخمر نحو (١٨٠) حديثاً، في الدلائل الواضحات للشيخ حمود التويجري رحمه الله، ولو لم

---

(١) ٢/ ١٦.

(٢) برقم (٢٠٠٣).

(٣) ٣/ ٤٢٢.

(٤) ٤/ ٢٤٩.

(٥) برقم (٣٦٨٠).

(٦) ٤/ ٢٥٢.

يكن في الخمر إلا مباينتها للإيمان، على ما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح، وفيه: «... ولا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حين يَشْرَبُهَا وهو مُؤْمِنٌ»[١]، وعنه في الخمر: «هذا شَرَابُ من لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ»، رواه البخاري في التاريخ[٢]، وأهل السنن[٣] إلا الترمذي، وقال عثمان رضي الله عنه: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ... اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فإنه والله لا يَجْتَمِعُ وَالإِيمَانُ أَبَدًا إلا يُوشِكُ أَحَدُهُمَا أَنْ يُخْرِجَ صَاحِبَهُ»[٤]، وقد وردت أحاديث كثيرة في ما يترتب على شرب الخمر، والوعيد عليه، كقوله: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ»[٥]، وقوله: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ»[٦]، وحديث: «من شَرِبَ الْخَمْرَ لم تُقْبَلْ له صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٧]، وقال: «من شَرِبَ الْخَمْرَ لم يَرْضَ الله عنه أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فإِنْ مَاتَ مَاتَ كَافِرًا»[٨]، وقال: «لَعَنَ الله الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إليه»[٩]، ولعن في الخمر عشرة، والأحاديث فيها كثيرة، سرد

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم واللفظ له (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٥٤١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧١٦)، وابن ماجه (٣٤٠٩)، والنسائي (٥٦١٠).

(٤) أخرجه النسائي (٥٦٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٨٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ١٧٥)، وأحمد (٢/ ٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه ابن ماجه (٣٣٧٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أحمد (٥/ ١٧١)، والبزار (٩/ ٤٥٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأخرج نحوه النسائي (٥٦٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٨) أخرجه أحمد (٦/ ٤٦٠)، والطبراني في الكبير (٤٢٨) من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

(٩) أخرجه أبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، وأحمد (٢/ ٢٥)، والحاكم (٢/ ٣١)، والبيهقي (٥/ ٣٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ابن كثير منها جملة وافية عند تفسير آية الخمر في المائدة، وأورد الشيخ حمود التويجري أكثرها في الدلائل الواضحات، والوعيد الذي ورد في الخمر يعم الدخان، بجامع وصف السكر الثابت في الدخان كما تقدم.

فأما التفتير في الدخان فلا شك فيه كما سبق، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، ففي المسند وسنن أبي داود، برجال الصحيح، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: «نهى رسول اللهِ ﷺ عن كل مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ»[1]، وهذا الحديث من أصرح الأدلة في تحريم الخمر والدخان، فإن صريح النهي للتحريم، وأما كونه مضراً للأبدان، وربما سبب الموت، أو قصر الحياة، فتحريمه لذلك يعرفه العقل والفطرة، فإن الصحة أعظم منة وأكبر منحة من الله، فالعاقل يتجنب الدخان حفظاً للصحة، فيحرم أكل السموم، والتراب، والضفادع، وإن لم يوجد فيها نص بالتحريم إلا منع الضرر، وقد ورد النهي عن أكل الطين، وليس الدخان أقل ضرراً منه، وقد حرم الله الخمر والميسر، مع أنه ذكر أن فيهما منافع للناس، فكيف لا يحرم الدخان الذي كله ضرر، ولا نفع فيه البتة، وقد نهى الله عن إيصال الإنسان الضرر إلى نفسه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ﴾[البقرة: من الآية: ١٩٥]، وعموم الآية يقتضي النهي عن كل ما يؤدي إلى ضرر أو عطب، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾[النساء: من الآية: ٢٩]، أي بأي سبب، ووردت السنة بالنهي عن قتل الإنسان نفسه، وعظم إثم من فعل ذلك، فقال ﷺ: «مَنْ تَرَدَّى من جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بها في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٨٦)، وأحمد (٦/ ٣٠٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد عرفت أيضاً أن من آفاته تعدي ضرره إلى الجلساء، والمصلين، والملائكة، ولا شك في عظم ذنب المؤذي، ووعيده على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب:٥٨]، ووردت السنة بالنهي عن أذى الملائكة بالنتن، وعن أذى المسلمين عامة، وترتيب العقوبة على ذلك.

وعرفت أيضاً تحقق وصف الدخان بالخبث، وبعده عن كونه من الطيبات بإقرار كل من يتعاطاه إلا من شذ، وهذا الوصف كاف في الحكم عليه بالتحريم، وقد كثرت الأدلة على ذلك، فقال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف: من الآية:١٥٧]، وهي نص في أن الأطعمة والأشربة قسمان لا ثالث لهما، طيب وخبيث، ولا واسطة بينهما يكون مكروهاً، كما يدعيه أكثر المدخنين، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾[المائدة: من الآية: ٤]، إلى قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾[المائدة: من الآية: ٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[البقرة: من الآية:١٦٨]، وقال النبي ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾** [المؤمنون: من الآية:٥١]، **وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾**[البقرة: ١٧٢]»[1].

ومفهوم هذه النصوص تحريم ما ليس بطيب، والنهي عنه، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



[النور: من الآية:٢٦]، أي إنما يتعاطى الخبيث من كان مثله، فيستفاد منه أن المدخن خبيث يتعاطى خبيثاً، وقد ذكر الله عاقبة الخبيث وأهله، فقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: منَ الآية: ٣٧] وقال: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: من الآية: ١٠٠].

وعرفت أيضاً إذهابه لجزء من المال ضياعاً، وتكليفه أحياناً نفقات العلاج، وخسائر الحرائق، ولا شك أن للأموال حرمة تصان لأجلها، وقد ركز في الفطر حب المال وإمساكه، وعد إتلافه بغير فائدة سفهاً ونقص عقل، والشرع يؤيد ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾[النساء: من الآية:٥]، والسفيه هو من لا يحسن التصرف في المال، كمن يبذله في حرام أو في غير فائدة، فمثل هذا يحجر عليه في ماله، ولا يمكن من التصرف فيه، وشارب الدخان أولى بوصف السفه، واستحقاق الحجر عليه لما تقدم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾[البقرة: من الآية:١٨٨]، ولا أبطل من إحراقه وتعذيب النفس به فهو أولى بالنهي، وقد نهى الله عن الإسراف والتبذير، فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[الأعراف: من الآية:٣١]، وقال: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الأنعام:من الآية:١٤١]، ومدح عباد الرحمن بالتوسط في النفقة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان:٦٧]، وأخبر أن عاقبة السرف التحسر واللوم كما في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾

[الإسراء: من الآيتين: ٢٦: ٢٧]، قال مجاهد: «لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً، ولو أنفق منه مدًا في باطل كان تبذيراً»[١]، وقال قتادة: «التبذير النفقة في معصية الله وفي غير الحق وفي الفساد»[٢]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «التبذير إنفاق المال في غير حق»[٣]، وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وفسر الإسراف بأنه النفقة في معصية الله وإن قلت، وقال إياس بن معاوية: «ما جاوزت به أمر الله فهو سرف»[٤]، ولا سرف ولا تبذير فوق إحراق المال، وإلحاق الضرر الفادح بالبدن، والأهل، والمجتمع، ولو لم يكن في التدخين، وما يذهب فيه، وبسببه من الأموال، إلا مؤاخاة الفاعل للشياطين، لكان ذلك أعظم ذم، وزجر، وتنفير.

وقد تكاثرت الأحاديث بالنهي عن إضاعة المال، فقال ﷺ في حديث المغيرة رضي الله عنه الذي في الصحيح: «وكَرِهَ لَكُمْ ثلاثًا، قِيلَ وقال، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإِضَاعَةَ الْمَالِ»[٥]. وفي الصحيح أيضا نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يوم الْقِيَامَةِ حتى يُسْأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ»[٦]، وعنه ﷺ قال: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمْ النَّارُ يوم الْقِيَامَةِ»[٧]، ولأن المال مال الله، استخلف العبد عليه كما قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٧٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٧٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٣١)، والطبراني في الكبير (٩٠٠٧)، والحاكم (٢/ ٣٦٠).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٧).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (١/ ١٤٤)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨) من حديث أبي برزة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (٣١١٨) من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها.

من الآية: ٧]، وقال: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[النور: من الآية: ٣٣]، وروى أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: «من إضاعة المال أن يرزقك الله رزقاً حلالاً فتنفقه في معصية الله»[١].

فانظر أيها المنصف إلى هذه الأدلة الواضحة، الصريحة في الدلالة بعمومها، وتأمل وتفكر، يتضح لك أن الدخان أول أو أولى ما يدخل في هذه العمومات، ولا حاجة إلى نص يخص التبغ، أو يصرح باسمه، فهذه طريقة الكتاب والسنة، في إيراد جمل، وقواعد عامة تتعدد مفرداتها.

وأما كلام العلماء، وقولهم بالتحريم، وأدلتهم، فأكثر من أن نأتي على نصفه، أو عشره في هذه الأوراق، وفي الصحيح أن عمر رضي الله عنه قال: وهو على المنبر بالمدينة: «الْخَمْرُ ما خَامَرَ الْعَقْلَ»[٢]، أي: غطاه، وقد سمعه كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، واشتهر قوله، فلم ينكر، فكان إجماعاً.

وقد نقل الشيخ العلامة أحمد المنقور، في مجموعه تحريم الدخان، عن جماعة من مختلف المذاهب، كلهم من حملة العلم المشهورين[٣]، وهكذا نقل الشيخ عبدالله السعدي العبدلي نقولاً كثيرة عن علماء كل مذهب، من أتباع الأئمة الأربعة[٤]، وذكر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عدداً ممن أفتوا بتحريمه من كل مذهب[٥]، وكذا الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي[٦]، ونقل تحريمه الشيخ حمود

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦١٩).

(٣) الفواكه العديدة (٢/ ٨٠).

(٤) تحفة البيان ص ١٢.

(٥) في الفتوى ص ٥.

(٦) الخمر وسائر المسكرات ص ١٦٠.

التويجري عن نحو خمسين عالماً، من مشاهير أتباع الأئمة الأربعة[١]، وتكلم عليه أئمة الدعوة، وأفتوا بتحريمه، وإقامة الحد على شاربه، كما نقل ذلك عنهم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله في الدرر السنية[٢]، والظاهر أنه لم يقل بحله أحد من العلماء المعتبرين، إلا أن يكون جاهلاً بحقيقته وأضراره، أو مبتلى بشربه، وقد قال شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في فتواه[٣]: مما يعلم كل أحد تحريمنا إياه، نحن ومشايخنا، ومشايخ مشايخنا، ومشايخهم، وكافة المحققين من أئمة الدعوة النجدية، وسائر العلماء المحققين سواهم، من العلماء في عامة الأمصار، من لدن وجوده بعد الألف بعشرة أعوام، أو نحوها إلى يومنا هذا. ا. هـ.

وقد ألف فيه جماعة من أكابر العلماء، وذكروا أضراره، وما يترتب عليه، منهم الشيخ العلامة محمد بن علان، شارح رياض الصالحين، وكان مرجع الشافعية، ومفتي أهل مكة في زمانه، كتب في تحريم الدخان رسالتين توسع فيهما، والشيخ العلامة المتقن، صبغة الله الحسيني البروجي، نزيل المدينة، له رسالة اسمها: (الحجة والبرهان، في تحريم الدخان)، والشيخ محمد بن فروخ المكي، والشيخ عيسى الشهاوي المصري، ونظم أيضاً أرجوزة في تقبيحه، وألف فيه الشيخ محمد الحامد الزبيدي تأليفين، وللشيخ ناصر بن علي العريني فيه رسالة مطبوعة اسمها: (القول الحسن)، وقد كثرت الكتابات والتأليف فيه، وذكر آفاته وأضراره، والنصوص العامة لتحريمه من العلماء المتقدمين، والمتأخرين، من المسلمين ومن غيرهم، من أهل الأديان الأخرى.

---

(١) الدلائل الواضحات ص ١٦٥.

(٢) الجزء الخامس والسادس ص ٤٥٢.

(٣) من أولها.

وقد ذكر الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي أنه لما حدث في أول أمره لم يكن الكثيرون من أهل العلم يعرفون حقيقته، هل هو مسكر، أو مفتر، وهل هو ضار بالصحة أو لا ، فلذلك اختلف العلماء بين محرم ومكره، وبين من يقول: يحرم على من يضره، ولا يحرم على من لا يضره الخ، وهذا واضح في أن هذا القائل لم يشخصه، ويتحقق آثاره، وإلا لعرف أنه ضرر بحت على كل من تعاطاه، كما ذكر ذلك الأطباء ونحوهم.



شبهات حول الحكم

ولما كان هذا الداء قد فتك بأكثر العالم، وتعاطاه الجماهير، وتبادلوه بلا نكير، كان أهله ولابد سيلفقون الأعذار، ويتعلقون على ما هو أوهى من بيت العنكبوت، ما دام فيه متعلق، مع أن التسرع في الحكم بدون دليل قطعي يعتبر افتراء على الله، وقولاً عليه بلا علم، وقد حرم الله ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٣٣]، فترقى من الأسهل إلى ما هو أكبر منه، فعلم أن القول على الله بلا علم أكبر من الشرك، ولقد كان السلف رحمهم الله يتحرجون في الفتوى، كما روى ابن وضاح، عن الربيع بن خثيم قال: إياكم أن يقول الرجل: إن الله حرم هذا أو نهى عنه، فيقول الله: كذبت، أو أن الله أحل هذا أو أمر به، فيقول الله: كذبت.

ولقد كان الإمام مالك رحمه الله يقول بعد أن يجيب باجتهاد على الأسئلة الواقعة: «إن نظن إلا ظناً، وما نحن بمستيقنين»[1]، ولقد نهى النبي ﷺ: أمير السرية أو الجيش أن ينزل أهل الحصن على حكم الله، وقال: «**أَنْزِلْهُمْ على حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لا**»[2]، وأصرح من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[النحل: ١١٦]، فيخشى على من أفتى بحل الدخان أن يدخل في هذا الوعيد الشديد، ويخشى على من استحله وخالف الأدلة

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١) من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه.



السابقة، أن يكون مشاقاً للرسول ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾[النساء: من الآية: ١١٥].

ولا يخلو من قال بحل الدخان من كونه جاهلاً بضرره وخبثه، أو مبتلى بشربه، فيريد إبداء عذره، أو مداهناً يجاري الناس ويفتي بما يهواه معظمهم، أو قد رشاه بعضهم ليفتي بالحل، أو حفاظاً على منصبه ورتبته، أو نحو ذلك.

أما من قال بحله من العلماء الأقدمين، الذين لا تتوجه إليهم الظنون السيئة، فيعتذر عنهم بأنهم لم يعرفوه حقيقة المعرفة، أو لم يتحققوا ضرره وإسكاره وتفتيره، لقلته وندرة تعاطيه في زمانهم، أو لعل الدخان في زمانهم مغاير لما هو عليه الآن.

وبعد هذه المقدمة نحب أن نفصل الكلام على بعض الشبه التي يتشبث بها البعض في أنه مباح، أو مكروه فقط.

فأولها: عدم النص الصريح باسمه في التحريم.

فنقول: قد سبق من أدلة التحريم التي يدخل في عمومها منطوقاً أو مفهوماً ما يكفي بعضه، وحيث إنه لم يوجد في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، لم يحتج إلى نص عليه بعينه، فإن الرسول ﷺ إنما فصل وسمى ما يعرفه أصحابه ويشاهدون، واكتفى بالعمومات، والقواعد المجملة، التي يدخل فيها ما يوجد بعد، ومنها هذا الدخان.

ثانيها: يتعلق بعضهم بالعمومات التي في مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة: من الآية: ٢٩].

وجوابه: أن المراد والله أعلم الاعتبار بها، والانتفاع بما فيه نفع، والمعنى: خلقه لأجلكم، ولمصالحكم، وفيه ما ليس بمأكول ولا مشروب، ففي التبغ مصالح، حيث

يستعمله المزارعون لإبادة الحشرات، والدواب التي تهلك النبات، فيقضي عليها كما سبق.

ثالثها: قول بعض الأصوليين: الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما حرمه دليل يخصه.

فيقال: إن بعضهم عكس القاعدة فجعل الأصل في الأشياء المنع إلا بالدليل، والصحيح التفصيل فكل نافع ولا ضرر فيه ولا خبث، فهو مباح إلا بدليل، وكل ضار، أو ضرره أكبر من نفعه، فهو حرام إلا للمضطر.

قال النووي في الروضة: كل ما أضر أكله، كالزجاج، والحجر، والسم، يحرم أكله، وكل ما هو طاهر لاضرر في أكله، يحل أكله، إلا المستقذرات الطاهرات، كالمني والمخاط.

رابعها: فتوى من أفتى بحل الدخان من أتباع الأئمة الأربعة.

وجوابه: أن يقال: إن كثيراً من المفتين اقتنصوا المادة، فأحلوا الخمور، والدخان، وحلق اللحى، وتبرج النساء، وأفتوا بذلك ونحوه، مع مصادمته للأدلة، فعلوا ذلك إرضاء للجماهير، أو الرؤساء ونحوهم، أو حفظاً لمناصبهم ورتبهم، وقولهم ليس بحجة، وقد أفتى بالتحريم من هو أفضل منهم وأعلم كما سبق، والأدلة مع من أفتى بالمنع، فيقدم قولهم، وأيضاً فإن حكم التدخين ليس خفياً، بل الأدلة على تحريمه كثيرة، واضحة الدلالة، فلا حاجة إلى فتوى فلان أو اجتهاده، ثم إذا كان قد حصل نزاع بين الناس في هذا الباب، فالمرجع هو الميزان العادل، كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: من الآية: ٥٩]، وبالرجوع إليهما نجد الدلالة فيهما على التحريم واضحة صريحة، ولا نجد دليلاً بالإباحة للدخان، مع اشتماله على الأوصاف السابقة، فلا يلتفت إلى من أفتى بإباحته، وقد اعتذرنا عن الأقدمين آنفا.



خامسها: إنكارهم لما فيه من الإسكار والتخدير والضرر.

فيقال: إن النقول لكونه مسكراً قد بلغت حد التواتر، وقولهم مقدم على من نفى الإسكار، فإن مع المثبت زيادة علم، وإسكار الدخان مشهور في حق من تعاطاه أول مرة أو استعمله بعد فقده، أما تفتيره فواقع، وذلك بما يحصل بعده للبدن من الخدر والسبات، وأما ضرره فأظهر من أن يستدل عليه، لكنه كما سبق يحدث بالتدريج، وقد سماه بعض الأطباء (بالقاتل المهذب)، وبعضهم (بالانتحار البطيء)، ثم يقال: ليس انتفاء أضراره أو تفتيره أو إسكاره لكل من شربه، .دليل على أنه لا ضرر فيه أصلاً، أو أنه لا يسكر ولا يفتر أبداً، وقد تقدم أن صاحبه مع الاستمرار عليه يعتاده جسده، فلا يحس ظاهراً بتغيير، كما أن الخمر قد يعتادها البعض، أو يستعمل بعض ما يضاد وصف الإسكار، فلا يعتريه بشربها إسكار، ولا يخرجها ذلك عن كونها خمراً حراماً.

سادساً: قد يحتج بعضهم بمنافع في الدخان، كالتنبيه، وإذهاب الكسل والتعب، وحصول نشاط بعده... الخ.

فيقال: (أولاً) إن هذه المنافع خيالية، أو هي دليل على ضرر الدخان، واسمع قول الأطباء في ذلك، قال الدكتور خالد منيمنة: إن الإنسان يعمد إلى التدخين كلما أحس تعباً، أو ارتباكاً فكرياً، فيشعر براحة، والحقيقة أن ذلك لا يكون نتيجة تحسن فعلي في حاله، بل نتيجة فقد الإحساس بما هو فيه، لأن التبغ أحدث في مخه وأعصابه انتعاشاً خيالياً، وتخديراً وقتياً، صرفاه حيناً عن استشعار ألم العناء، ومشقة التعب، وعذاب القلق، الذي لا يزال يساوره رغم عدم شعوره به[١].

وقال الدكتور (دانيال هـ. كرس): إن التدخين في الواقع يهدئ الأعصاب، وذلك أكبر حجة على ضرره، وليعلم أن المادة المخدرة تزيد سوء الحالة العصبية، والمدخن

---

(١) الدخان في نظر الإسلام ص ١١.

يعرف أن الدخينة تشبه المورفين، في تخدير الأعصاب، وتهدئتها، وإلحاحها عليه بالتمادي في تطلبها، كلما زاد تأثيرها في تلك الأعصاب المكدودة، التي لا يسكن تأثيره حتى تترنح من جديد بمفعول دخينة أخرى... الخ[1].

ويقال ثانياً: إن هذه المنافع الوهمية لا تساوي الأضرار الناتجة عنه، ولو قدر تساويهما لقيل بالتحريم أيضاً، حفظاً للصحة، كيف والأضرار أكثر وأعظم، بل لا نسبة بينهما، فقد تحقق أن المنافع هي نفسها أضرار.

---

(١) الدخينة في نظر طبيب ص ١٤، وارجع إلى كلامه فقد أطنب في ذلك.

حكم من استحله

وبعد أن تجلى لك تحريمه، واندحضت لديك الشبه التي يتشبث بها من يرى حله، فالذي يصر على القول بحله بعد قيام الحجة على خطر كبير، فقد حكم الأئمة بكفر من استحل حراماً معلوماً تحريمه من الدين بالضرورة، وأهدروا بذلك دمه، فمن أباح الخمر مثلاً مع علمه بتحريمها، أو حرم شيئاً من الطيبات المباحة، كالخبز والتمر بلا شبهة، اعتبر منازعاً ومشاقاً لله ورسوله، فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾[النساء: من الآية: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال: من الآية: ١٣]، وقد وصف الله أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾[سبأ: من الآية: ٦]، فالذي يستبيح الدخان ويفتي بحله، ويتنكب الأدلة العقلية والنقلية المتقدمة، يعتبر مشاقاً للرسول ﷺ، حيث إن مما جاء به تحريم الخبائث، والاقتصار على الطيبات، والأمر بحفظ الأموال عن الضياع، وحفظ الأبدان، وحفظ العقول، والنهي عن أذى المؤمنين والملائكة.

أما من تعاطاه مع اعترافه بالتحريم، أو قال مكروه، وهو ممن تخفى عليه الأدلة، أو قلد في شربه الأكثرين، وسولت له نفسه الإقامة عليه، مع اعترافه بالخطأ فلا شك أن هذا قد أصر على صغيرة على الأقل، فترد بذلك شهادته، ويحكم بفسقه، ولا يصل إلى الحكم عليه بالردة ونحوها.

إتلاف الدخان هدر

اعلم أن المحرمات من الخمر، والمعازف، وآلات الطرب واللهو، ومثلها هذا التبغ كلها لا حرمة لها في الشرع، فإتلافها هدر، ولا قيمة لها، ولا قطع بسرقتها، بل يجب إتلافها، وإحراقها متى قدر عليها وقد ذكر الشيخ عبـد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى أنهم لما دخلوا مكة سنة ١٢١٨هـ صحبة الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد رحمه الله كسروا آلات التنباك، ونودي بتحريمه، وأحرقت أماكن الحشاشين، والمشهورين بالفجور(١)، وهكذا لما دخلوها في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٤٣هـ كسروا آلات الدخان وأوعيته، وعزروا من يجاهر بشربه، أو بيعه، أو ابتياعه علانية(٢).

وإن أتلفت معه أدواته وأوعيته ذهبت هدراً، كزقاق الخمر، ففي الحديث عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما: أمرني رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أن آتِيَهُ بِمُدْيَةٍ -وَهِيَ الشَّفْرَةُ- فَأَتَيْتُهُ بها، فَأَرْسَلَ بها فَأُرْهِفَتْ، ثُمَّ أَعْطَانِيهَا وقال: «**أغد عَلَيَّ بها**»، فَفَعَلْتُ، فَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ إلى أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ وَفِيهَا زُقَاقُ خَمْرٍ قد جُلِبَتْ مِنَ الشَّامِ، فَأَخَذَ الْمُدْيَةَ مني فَشَقَّ ما كان من تِلْكَ الزِّقَاقِ بِحَضْرَتِهِ، ثُمَّ أعطانيها وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ كَانُوا معه أَنْ يَمْضُوا معي وَأَنْ يعاونوني، وأمرني أَنْ آتي الأَسْوَاقَ كُلَّهَا فَلاَ أَجِدُ فيها زِقَّ خَمْرٍ إِلاَّ شَقَقْتُهُ فَفَعَلْتُ، فلم أَتْرُكْ في أَسْوَاقِهَا زِقًّا إِلاَّ شَقَقْتُهُ(٣).

وحكى الشيخ تقي الدين الاتفاق على إراقة خمر المسلم، وقال: يجوز تكسير أوعية الخمر وتحريقها، والحانوت الذي يباع فيه الخمر يجوز تحريقه، نص عليه

---

(١) ذكره في رسالته التي كتبها لأهل مكة في بيان دعوة التوحيد. انظر الدرر السنية ١/ ١٢٥.

(٢) ذكر ذلك الشيخ حمود التويجري في الدلائل الواضحات ص ١٦٩.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٢).

أحمد، ومالك وغيرهما، ودليله ما ثبت أن عمر رضي الله عنه أمر بتحريق حانوت يباع فيه الخمر، لرويشد الثقفي وقال: «أنت فويسق، ولست برويشد»[1]. وكذلك علي رضي الله عنه أمر بتحريق قرية كان يباع فيها الخمر، رواه أبو عبيد[2] وغيره، ذكر ذلك ونحوه الشيخ حمود التويجري رحمه الله[3]، وقد عرفت أن الدخان أولى بالإحراق، وكذا أماكنه وأدواته، لكونه ضررا بلا نفع.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٧٧)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في الأموال ص١٢٥.

(٢) في الأموال ص١٢٦.

(٣) كما في الدلائل ص ١٦٩.

حكم الاتجار بالتبغ

لقد عمت البلوى، وتمكن إلفه وشربه من الجماهير، وانتهز ذلك آخرون، ليربحوا عليهم، فجلبوه لهم، وتبادلوه بيعا وشراء بلا نكير، وكأنه لا بأس به وقد ثبت قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ»[١]، وعلى هذا فالاتجار به لا يجوز، وثمنه يحرم أكله، كثمن الخمر بل أولى، وقد لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة[٢]، وعد منهم بائعها ومشتريها وآكل ثمنها، وقال ﷺ: «مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصْ الْخَنَازِيرَ»[٣]، والدخان شر كبير ومن اتجر فيه بعد معرفته بالتحريم ففيه شبه من اليهود، لما حرمت عليهم الشحوم، أذابوها، فباعوها، وأكلوا ثمنها، فاستحقوا اللعن على هذا الفعل ونحوه، وقد قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ولما كان الدخان بهذه المثابة، مضرا بالدين، والبدن، والمال، كانت التجارة فيه محرمة، وتجارته بائرة غير رابحة، وقد شاهد الناس أن كل متجر فيه -وإن استدرج ونما ماله في وقت ما- فإنه يبتلى بالقلة في آخر أمره، وتكون عواقبه وخيمة.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، وابن حبان (١١/ ٣١٢)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٧)، والدارقطني (٣/ ٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم تخريجه ص٦١.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٤٨٩)، وأحمد (٤/ ٢٥٣)، وابن أبي شيبة (٤/ ٤١٢)، والدارمي (٢/ ١٥٥)، والطبراني في الكبير (٨٨٤) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.



الحد في شرب الدخان

وبعد أن اتضح لنا إلحاقه بالخمر بجامع وصف الإسكار في بعض الأحيان، أو لبعض الأشخاص كما سبق، وقلنا بتحريم الدخان، ولو لم يسكر، لأن ما أسكر كثيرة فقليله حرام، بنص السنة النبوية، فعلى هذا يجب الحد على من شربه، كما يجب بالإجماع حد شارب الخمر، وقد أفتى أئمة الدعوة النجدية بحد شارب الدخان كحد الخمر، أربعين جلدة، فإن لم ينزجر أدب إلى ثمانين جلدة، إذا ثبت ببينة، أو وجدت منه رائحته، أو خرجت الرائحة من بيته، فمنهم الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى، وله في ذلك عدة أجوبه، ومنهم أخوه الشيخ حسين، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، والشيخ سعيد بن حجي، وأجوبتهم في الدرر السنية، في الجزء الخامس والسادس[1]، ولا شك أن في العمل بتلك الأجوبة تخفيف لهذا الشر المستطير، وقمع لأهله، وإذلال لهم.

---

(١) ص ٤٥٢.

الصلاة خلف شارب الدخان

تعم البلوى بتقدم بعض المدخنين للصلاة بغيره، فيكثر التساؤل عن حكم هذه الصلاة، وتختلف الأجوبة باختلاف الأحوال، ولقد عرف أن المدخن قد خرج من صفة العدالة، واتصف بصفة الفسق، والجمهور على كراهة الصلاة خلف الفاسق، وقال مالك وغيره: إن العدالة في إمام الصلاة شرط من شروطها، فمن صلى خلف فاسق بطلت صلاته، فعليه أن يعيد، ويدل لهذا القول حديث السائب بن خلاد ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ، فقال رسول اللّهِ ﷺ حين فَرَغَ: «لا يُصَلِّي لَكُمْ»، فَأَرَادَ بَعْدَ ذلك أَنْ يُصَلِّيَ لهم، فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رسول اللّهِ ﷺ، فذكر ذلك لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ فقال: «نعم، إِنَّكَ آذَيْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، أخرجه أبو داود[1]، والمدخن قد آذى الله وملائكته، وعباده المؤمنين بنتن فمه، وقد أخرج ابن ماجة[2] بسند ضعيف عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَؤُمَّنَّ امْرَأَةٌ رَجُلاً، ولا يَؤُمَّ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا، ولا يَؤُمَّ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا، إلا أَنْ يَقْهَرَهُ بِسُلْطَانٍ يَخَافُ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ»، وعن ابن عمر ﷺ مرفوعاً: «اجْعَلُوا أَئِمَّتَكُمْ فِي خِيَارِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَفْدُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ»، أخرجه الدارقطني[3] والبيهقي[4] بسند ضعيف، لكن روى الحاكم في مستدركه[5] نحوه عن

---

(١) برقم (٤٨١).

(٢) برقم (١٠٨١)، وفي سنده عبد الله بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٣) في سننه (٢/ ٨٧).

(٤) في السنن الكبرى (٣/ ٩٠).

(٥) (٣/ ٢٢٢).

مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وذكر الشوكاني في النيل[١]، عن علي رضي الله عنه، مرفوعا: «لا يَؤُمَّنَّكُمْ ذُو جُرْأَةٍ فِي دِينِهِ»، وعزاه لبعض كتب أهل البيت.

والذي يظهر في إمامة المدخن أنها لا تصح إن وجد في المصلين غيره من يقيم القراءة الواجبة، ويعرف ما يلزم في الصلاة، فإن عدم تقدم المدخن مع الكراهة، ويفرق أيضاً بين ترتيبه واستمراره في الإمامة، وبين إمامة عارضة في سفر أو نحوه، وقد قال الشيخ العمادي في الهداية: يكره الاقتداء في الصلاة بآكل الربا، أو شيء من المحرمات... كالدخان المبتدع في هذا الزمان، وقال خالد بن أحمد من فقهاء المالكية: لا يجوز إمامة من يشرب التنباك، ولا يجوز الاتجار به ولا بما يسكر[٢].

(١) (٣/ ١٨٥).

(٢) الفواكه العديدة للمنقور ٢/ ٧٨.

هل يمنع المدخن دخول المسجد

ثبت في الصحيح عنه ﷺ قال: «مَن أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فإن الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى منه بَنُو آدَمَ»[1]، وهذه الثلاث في الحديث من النبات الطاهر، ولا ضرر في أكلها كالدخان، ولكن لما بها من الرائحة المستكرهة في مشام الناس، والتي تظهر من فم آكلها، نهي من أكل شيئا منها أن يقرب المسجد، حتى يذهب ريحها، إلا أن يميتها طبخاً، ولقد فهم الصحابة رضي الله عنهم أن قصده منعهم من أكلها قرب وقت الصلاة، حتى لا يمنعوا من حضور المسجد، ومن فضل الجماعة، ولم يفهم أحد منهم فيما يظهر أن أكلها عذر في التخلف عن الصلاة في المسجد، ولا شك أن الدخان أقبح، وأخبث، وأنتن رائحة من هذه المأكولات، بل لا نسبة بينهما، وإذا فهو أولى أن يمنع من تناوله قرب وقت أي صلاة، حتى لا يؤذي الله وملائكته، وعباده المؤمنين، برائحته الكريهة، ولكن لا يكون شربه عذراً في التخلف عن صلاة الجماعة.

(١) أخرجه مسلم (٥٦٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

هجره وإبعاده

قد عرفت أن رائحة التبغ تؤثر على الجلساء، وأهل المجلس جميعاً، وأنهم لا يسلمون إلا بإبعاد المدخن، أو الابتعاد عن مجالسته، وتلك الرائحة تنصبغ بها ثيابه، وجميع جسده، فهو يستحق الهجر والإبعاد، للسلامة من تعدي تلك الرائحة، وأيضاً فهو دائماً يدعو من خالطه وجالسه إلى التلبس بما هو فيه، ويحرص على إيقاع كل من استطاع في الدخان، فهجره والبعد عنه أولى، حذراً من الركون إلى تزيينه وتسويله، أما هجره وترك السلام عليه، ومجالسته لأجل الذنب، فيتوقف على ترجح المصلحة، فإن رجيت توبته وإقلاعه، لزم الهجر لذلك، وإن لم يزده الهجر إلا تمادياً في ذنبه، فلا مصلحة في الهجر، لا سيما إذا أخيف أنه بالهجر يصحب من يفسده في الدين والخلق، ولكن يلزم مقته، والإنكار عليه دائماً، وتقريعه وتوبيخه، وبغضه على هذا الفعل، وإظهار ذلك له ولغيره، فلعله مع التكرر يقلع ويتوب، والله الهادي إلى سواء السبيل.



خاتمة في إرشادات لتقليله في المجتمع والإقلاع عنه

وبعد أن عرفت حكم الإسلام في هذا الدخان، وعرفت فتكه الذريع في الأنفس، وفي الأرواح، والأموال، والأخلاق، فاعلم أنه يتحتم عليك عقلاً وديناً بذل الوسع في تخليص كل مسلم من أسره، والسعي جهدك لإنقاذ الأفراد والجماعات من شره، وهذا الواجب العقلي قد انتبهت له أغلب الدول الكافرة، فأبدت اهتمامها للقضاء على التدخين، أو منعه منعاً باتاً في مجتمعاتها، وبين شعوبها، فأكبر الدول التي تنتج التبغ، وتجني منه الأرباح الطائلة هي دولة (أمريكا). فقد ذكر الشيخ الدكتور صالح المنصور أن رأس المال السنوي الذي يعمل في مجال صناعة التبغ بلايين كثيرة، أي في زمان الأستاذ علي فكري، عند تأليفه لكتاب الأمراض الاجتماعية، وبالرغم من ذلك كله، فقد قامت بحملات ضد التدخين، اشترك فيها أكثر من عشرين جمعية طبية وخيرية، كل ذلك في السعي في تقليل هذه العادة، أو القضاء عليها بين أولئك الشعوب، لما ظهر لها من النتائج والآثار السيئة في الفرد والمجتمع؛ كما فرضت غرامة مالية مع حبس ستة شهور، على من باعه، أو وجد عنده، وألزمت شركات التبغ أن تكتب أضراره على كل علبة.

وفي عام ١٩٦٢م أعدت (بريطانيا) مليون طابع بريد للدعاية ضد التدخين، كما أسست عيادات طبية كثيرة لمساعدة الراغبين في التخلص منه، وحاربته (فرنسا) بسجن مستعمليه وجلدهم، وسنت (كندا) قوانين لمنع بيعه وصناعته، وفي (تركيا) قام الغازي (مصطفى باشا كمال) خطيباً في وسط البرلمان يحرمه، بوضع غرامة محدودة، واشتهر عن بعض الدول سعيها في تقليله، حيث أسست لغير المدخنين مطاعم، ومقاهي نظيفة مرفهة، بسعر أقل، كما أعدت لهم مراكب للتنقل، وخفضت في أجرتها، وحرم منها المدخنون، وفي دولة (العدو اليهودي) يمنع الجندي

من تعاطي الدخان بتاتاً، مخافة استسلامه لقرنه في الحرب إذا داخ، ولم يتمكن من التدخين، وفي دولة: (الدنمارك) قامت ضد التدخين حملات مستمرة، بواسطة طوابع البريد، والنشرات العامة، وأفلحت، حيث انخفض استهلاك الشباب للسجائر بنسبة ١٠٪، وأذيع عنها حملة شعواء ضد الدخان والمدخنين، فأعلنوا آثاره السيئة في الصحف واللافتات، والأفلام والإذاعات، واتفقوا على منع كل الشعب من شربه يوماً كاملاً، ثم الإذن فيه في اليوم بعده، فأقلع عنه نحو ٣٠٪ من جملة المدخنين، ومنعه السلطان العثماني مراد الرابع في (البلاد العثمانية)، وجعل عقوبته قطع الأنف والشفتين، ومنع السلطان محمد الرابع من تعاطيه، بل حكم بقتل مستعمله[١].

وفي سنة ١٨٦٠م انتدب الإمبراطور (لويس نابليون) الفرنسي لجنة تبحث عن تأثير التبغ على نمو القوى العقلية، وبلغ ارتياعه من التقرير الذي رفعته اللجنة، أن أصدر أمره بكسر ثلاثين ألف غليون، لثلاثين ألف شاب في باريس، وأمر أن يطرد من المدارس جميع الطلبة والأساتذة الذين يدخنون[٢].

وأذاعت كلية الأطباء الملكية (البريطانية) تقريراً مفزعاً عن أضراره، قد أشرنا إليه سابقاً في الحديث عن أضرار التدخين، وأوصى التقرير بمنع جميع إعلانات السجائر، ومنح جوائز مغرية لغير المدخنين، وإلزام الشركات المنتجة بوضع تحذير من التدخين، على أعقاب السجائر، كما يحدث حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوصت الكلية باتخاذ أربعة إجراءات للحيلولة دون وفاة عشرات الآلاف من الأشخاص سنويا بسبب التدخين وهي:

١- منع الإعلان عن السجائر في كل وسائل الأعلام.

---

(١) نقلت أكثرها من رسالة الدخان في نظر الإسلام ص ٢٣ - ٤٢، وبعضه عن صحف ونشرات قديمة، وبعضه بواسطة علماء ثقات.

(٢) الدخينة ص ٤٤.

٢- طبع تحذيرات شديدة من التدخين على كل علبة سجائر.

٣- إقلاع جميع الأطباء عن التدخين فوراً.

٤- منع التدخين في كل الأماكن العامة.

وأعلنت الكية على أثر إذاعة تقريرها أنها أعدت حملات ضد التدخين في كل أنحاء بريطانيا، وأنها ترجو أن تجمع تبرعات للإنفاق على الملصقات، والمنشورات، والإعلانات التليفزيونية[١].

(١) كشف الستار ص ٨٧.



وسائل الإقلاع عن التدخين

كثيراً ما يتعلل المدخن بعدم الاستطاعة، وأنه قد تمكن منه، وأن لا صبر لـه على المشقة في تركه، وأن التخلي عنه من أمحل المحال... الخ، ولكن ذلك كله أوهام، تزول عند العزم الصادق، كما يدل عليه ما هو مشاهد ومشهور، وقد سبق أن مئات من المدخنين كتبوا إلى مؤلف كتاب (كيف تبطل التدخين)، أنهم وجدوا فيه الضالة المنشودة، ونقل في رسالة (الدخينة) أن (تشانسي ديبوا الأمريكي) أقلع عن التدخين قبل وفاته بنصف قرن وعمر ٩٤ عاماً، ولم ينقطع عن الذهاب يومياً إلى مكتب أشغاله إلا قبل وفاته بأسابيع، ونقل عنه قوله: قضيت بعد ذلك - أي بعد الإقلاع- ثلاثة أشهر وأنا أقاسي من برحاء العذاب مالا أتوقع... إلا أنني تحملتها وحدي بصبر الشهداء، وكنت قد عقدت النية على هجر التبغ إلى الأبد... وفي نهاية الأشهر الثلاث خمد حنيني إليه، وزاد وزني مقدار أحد عشر كيلو غرام... الخ[١].

(١) الدخينة ص ١٦.



لا تحاول الامتناع التدريجي

قال في (الدخينة)[١] : إن أحسن وسيلة للتخلص من التدخين أن تأخذ نفسك على الفرار منه قسراً دون أن تروضها على الامتناع تدريجياً ، وهذه الطريقة لم تنجح مطلقاً ، فاحذرها واجتنبها فهي منفاة الراحة ، ومجلبة العذاب.

وهكذا قال في كتاب (كيف تبطل التدخين)[٢] ، وعلله بقوله : لأن المدخن يظل بذلك يمد جسمه يومياً بالنيكوتين ، ولو بكمية أقل من المعتاد ، فيظل الجسم مدمناً على النيكوتين ، فيعود ثانية إلى ما كان عليه قبل تجربة الإقلاع ، فعلى من يريد الإقلاع أن يكف عن التدخين مرة واحدة ، وليس تدريجياً.

وقال الدكتور خالد منيمنة : والطريقة المثلى للخلاص من عادة التدخين لا تقوم بالتدريج في إقلاع المقدار الذي درج الشخص على تعاطيه ، بل بالانقطاع مرة واحدة عنه ، وتركه مهما كانت الظروف[٣] ، فانظر كيف اتفقوا على أن التدرج لا ينجح صاحبه ، ونصحوا بالإقلاع عنه مرة واحدة ، لكن ذلك يتوقف على قوة العزم ، وصدق الإرادة ، وتجشم الصبر القليل ، لتحصيل الراحة التامة.

---

(١) الدخينة ص ٧٩.

(٢)ص ٦٢، وما بعدها:

(٣) الدخان في نظر الإسلام ص ١٣.

وسائل عامة مفيدة في الإقلاع

بعد أن عرفت أيها الأخ المسلم ما قدمت لك من الآثار السيئة، الناتجة عن التدخين، وعرفت أنك لا تتخلص منها إلا بتركه، فما عليك إلا أن تقلع عنه من الآن، وتحمل نفسك على الصبر، وتعصي هواك وميلك، وتعلم أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وأن الثواب أعظم من المشقة، ثم ما هي إلا أيام قلائل، ثم تسلو عنه وتنساه، كما مثل بعضهم تركه بالطفل عند الفطام، يسلو عن الثدي شيئاً فشيئا.

قال الدكتور (صبري القباني) وللتخلص من عادة التدخين يحتاج المدمن إلى عزم، وتصميم، وقوة إرادة، فإذا توفر له ذلك تخلص من شر استشرائها، وساعدته على اجتياز فترة الصراع بين عقله الناصح، ونفسه المطواعة الأمارة بالسوء، ينصح المدمن بالتسلح بمحلول (نترات الفضة) بنسبة واحد بالمائة، على أن يضع زجاجة هذا الدواء في جيبه، فإذا مد يده لتناول لفافة تبغ بحكم العادة المستحكمة، فعليه أن يأخذ جرعة صغيرة من القنينة، يتمضمض بها ثم يلفظها، دون أن يبلعها، ثم فليحاول التدخين إن أحب، عندها يرى نفسه ستمج طعم الدخان وتصدف عنه، ويكره رؤية اللفائف، فيرمي بها أرضاً، فإذا ثابر على ذلك أسبوعاً أو أسبوعين، فلن تهفو نفسه إلى الدخان، ويكون قد تخلص نهائياً من أذاه، مثله في ذلك مثل الطفل الذي يفطم عن ثدي أمه، بوضع مادة الكينا على حلمة الثدي، ثم يسلوه، ويقلع عن عادة الرضاعة، أما إذا كان المدمن ضعيف الإرادة، خائر العزم، فيكفى أن يقطر له في قهوته أو شرابه عشرون قطرة من (رودانات البوتاسيوم) ثلاث مرات في اليوم، فإذا به بين عشية وضحاها وقد غدا كارهاً للتدخين، يضيق صدره كلما غشي مجلساً عبق بالدخان وبرائحته، وقد أخرجت معامل (دولاكرانج) هذا الدواء بشكل مستحضر مسمى (روسيا)[١].

---

(١) طبيبك معك ٢/ ٣.



وذكر في كتاب (كيف تبطل التدخين) إرشادات كثيرة، لها تأثيرها، نلخص منها ما يلي:

١ - الاستحمام يومياً بالماء البارد، أو غسل الجسم به، والتنزه بالهواء الطلق، وتخفيف الغذاء، مع تعدد وجبات الطعام، والاستعاضة عن التدخين عندما تطلبه النفس بشرب فنجان من القهوة، وخصوصاً بعد وجبة الطعام، ومن المستحسن حذف اللحم مؤقتاً من الغذاء، والاكتفاء بالأغذية النباتية، لأن اللحم يثير الرغبة في التدخين.

٢ - الاستعانة بمواد تلهي عن التدخين، كمص أقراص من عرق السوس، أو النعناع، أو مضغ لبان (علكة)، أو أكل بضع حبات من التين، أو التمر، ولهذين الأخيرين فائدة في تليين الباطنة، والإسراع بطرد المتجمع من السم في داخل الجسم إلى خارجه.

ولعلك أيها القارئ تبصرت وتحقق لديك بما ذكرنا حكم هذه العادة البشعة، عادة التدخين، وتجلى لديك تحريمها شرعاً وعقلاً، وعرفت من هذه الخاتمة التي نقلنا لك فيها نصائح جملة من الأطباء، الحاذقين، وقد باشروا الإقلاع، وذكروا كيفيته عن خبرتهم، وتجاربهم، وما تولوه من علاج وأدوية، لمن رغب إليهم في مساعدته على التخلص من الدخان، فإن كنت ممن صانهم الله وحماهم عن الوقوع في هذه العادة الوبيئة، فما أعظم نعمة الله عليك، حيث نجوت مما ابتلي به الخلق الكثير، فعليك أن تحمد الله وتشكره، وتثني عليه، لتقوم بحق هذه النعمة، وما أكثر نعم ربنا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إبراهيم: ٣٤]. كما أن عليك أن تكون على حذر، مخافة التأثر بالدعايات والإعلانات، ويلزمك أيضا أن تحذر إخوتك المسلمين عن هذا الشر المستطير، وتنصحهم في ذات الله، فإن الدين النصيحة، وأما إن كنت ممن ابتلي بشرب الدخان ووقع فيه على جهل وسفه، فإن من الواجب عليك أن تجمع التوبة النصوح، لا سيما قبل تمكن هذا البلاء، بحيث يستعصي

علاجه، وقد أرشدناك إلى بعض من الوسائل التي تكون عونا لك على التوبة الصادقة، ودللناك إلى كتب ورسائل أطباء وعلماء ناصحين قصدوا تخليص البشر من عدو لدود، يفتك بالأرواح بعد الأموال، فسر على ضوء نصائحهم، واحذ حذوها، رجاء أن يحالفك النصر والظفر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد، وآله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

عضو الإفتاء المتقاعد



المراجع

بيان بأهم المراجع في هذه النبذة

١- إدخال التعديل، للشيخ عبد الله بن زيد بن محمود.

٢- الأمراض الباطنية والصدرية، لنخبة من أساتذة كليات الطب بمصر.

٣- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.

٤- بيان خطر المخدرات وأنواع المسكرات، للشيخ عبد الرحمن الجطيلي.

٥- تحفة البيان، للشيخ عبد الله بن سعدي العبدلي الغامدي.

٦- تحفة الودود، للشيخ عمر بن محمد بن محمود..

٧- تفسير ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.

٨- تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.

٩- الجواب الحسن، للشيخ ناصر بن علي العريني.

١٠- حكم شرب الدخان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١١- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٢- الخمر وسائر المسكرات، للشيخ أحمد بن حجر.

١٣- دائرة معارف الناشئين.

١٤- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم الجزء الأول والخامس الطبعة الثانية.

١٥- الدخان في نظر الإسلام ، للشيخ الدكتور صالح المنصور.

١٦- الدخينة في نظر طبيب، للدكتور دانيال هـ. كرس، نشر مكتبة المعارف بالطائف.

١٧- الدلائل الواضحات، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري.

١٨- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

١٩- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٠- سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.

٢١- سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٢- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤هـ.

٢٣- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٤- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٢٥- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٦- صحتك في فمك وأسنانك، للدكتور مدحت فريد.

٢٧- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢٨- صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٩- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٠- طبيبك معك، للدكتور صبري القباني، الجزء الثاني الطبعة الثالثة.

٣١- فتوى سماحة مفتي الديار السعودية، الشيخ محمد بن إبراهيم.

٣٢- كشف الستار، للشيخ سليمان الحميضي.

٣٣- كيف تبطل التدخين، تنسيق حسين عاصي، الطبعة السادسة.

٣٤- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، مكتبة المعارف.

٣٥- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٣٧- مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٨- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٩- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٤٠- معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، طبعه وصححه محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ.

٤١- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.

٤٢- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٤٣- موارد الظمآن، للشيخ عبد العزيز السلمان الجزء الثاني الطبعة السابعة.

٤٤- هذا سؤال، للشيخ حافظ أحمد الحكمي.

٤٥- الفواكه العديدة، للشيخ أحمد بن محمد المنقور.

فهرس الموضوعات

